الأدفوي ومنهجه في كتابه التاريخ

في ضوء كتاب

الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد

دكتور/ أحمد حامد أحمد موسى

مقدمة :

حظي صعيد مصر بتراث ثقافي يضاهي المدن الإسلامية العريقة كبغداد والموصل ومكة والمدينة ودمشق وخراسان وبخارى وأصفهان وشيراز وقزوين وغيرهم، فهو لم يكن بمنأى عن التطورات والأحداث التي كانت تدور في القاهرة من تقدم فكري وثقافي، لذا شاركت منطقة الصعيد بقسط وافر من التاريخ الفكري للدولة العربية الإسلامية مما جعل لمصر وضع متميزاً في العالم العربي الإسلامي بداية بالكيان السياسي للدولة الفاطمية التي حكمت ما يقرب من قرنين ونيف من الزمان تميزت من خلالها مصر سياسياً وحضارياً وثقافياً؛ انعكس هذا بدوره على مدن الصعيد الأعلى وخاصة مدينة أدفو.

وبحكم الموقع الاستراتيجي والاقتصادي المتميز لصعيد مصر الأعلى والأحداث السياسية الداخلية والخارجية مما أضفت عليه أهمية خاصة. جعله مركز التكوين الفكري الذي كان العامل الأساسي للحضارة الإسلامية من خلال العلوم التي أسهم فيها أبناء الصعيد أو من شد الرحال إليه من علوم شرعية وفنونها مثل علوم القرآن والحديث والفقه والعقائد إضافة إلى العلوم العقلية. وإن كان ليس غريباً أن يكون عدد المدارس في صعيد مصر الأعلى زمن الأدفوي ما لا يوجد مثله في الوجه القبلي أو الوجه البحري إضافة إلى المدارس التي بناها أباء الصعيد من العلماء أصحاب الجاه إضافة إلى المساجد ودور حفظ القرآن والربط والزوايا. فكان من الطبيعي أن تشمل النهضة العلمية والثقافية علم التاريخ الذي كان علماً راسخاً يؤدي دوره الثقافي في خدمة المجتمع الإسلامي.

والجدير بالذكر أن مدينة أدفو وشاركتها أسوان أهم مراكز الثقافة في صعيد مصر الأعلى خلال القرون الأولى للإسلام وذلك لوجود صحابة وتابعين وقبائل عربية نزحت من شبه الجزيرة العربية أثناء الفتح كما وجد في أسوان شاهد قبر يرجع إلى ٣١هـ فإنه يمثل أقدم كتابة على الحجر الجيري في مصر الإسلامية ثم تراجعت أسوان لتزدهر مدن الصعيد الأعلى الأخرى فنرى قوص مدينة العلم والعلماء الذي رحل إليها الأدفوي ليكمل تعليمه فيها ويوثق إمكاناته الفكرية فيها.

ومما لا شك فيه أن كتاب "الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد" يعد عمدة مصادر تاريخ الصعيد الأعلى الفكري وهو العمل التاريخي والتراثي الوحيد الذي تناول تراث الصعيد الأعلى منذ الفتح الإسلامي حتى القرن الثامن الهجري فهو يمثل جهداً فريداً لتراجم الكثير من العلماء في شتى العلوم العقلية والنقلية ولولاه لاندثر جزء مهم من أعلام الصعيد الذي خطه تاريخياً بشكل تحليلي موضوعي، لذا اعتمدت في كتابة البحث على المنهج التاريخي الذي يقوم على الوصف والتحليل والنقد حيث قمت بجمع المعلومات من بطون المصادر والمراجع وتحليلها بشكل موضوعي بما يخدم موضوع الدراسة.

لذا أفردت هذا البحث لإبراز دور الأدفوي ومنهجه في كتابه التاريخ هذا وقد قسمت البحث إلى ثلاثة محاور على النحو التالي:

المحور الأول: نبذة تاريخية عن موقع مدينة أدفو وتطورها الإداري حتى زمن الأدفوي: وتحدثت عن مدينة أدفو خلال العصور القديمة وكذلك تقسيماتها الإدارية منذ الفتح العربي الإسلامي بدءاً من عصر الولاة وسماتها الاقتصادية والاجتماعية حتى زمن الأدفوي أي حتى عصر دولة المماليك البحرية وهي الحقبة التي عاش فيها الأدفوي تلك هي المدينة التي تربى فيها الأدفوي وتلقى علومه الأولية بها قبل أن ينتقل إلى قوص التي كانت في ذلك الوقت حاضرة الإقليم وعاصمته الثقافية.

المحور الثاني: العوامل التي أثرت على الكمال الأدفوي في كتابه التاريخ: وتطرقت إلى معنى علم التاريخ وكيف بدأ الأدفوي طالعه بحقوق تاريخية وكيف تعرض المؤرخون لتعريفهم لعلم التاريخ حتى صار علماً راسخاً يؤدي دوره الثقافي في خدمة المجتمع الإسلامي ثم مراحل تعليم الأدفوي خاصة تأثره بتعليمه في مدينة قوص عاصمة الإقليم.

المحور الثالث: أهم مؤلفات الأدفوي وشيوخه الذي تأثر بهم: ألف الأدفوي العديد من التراث التاريخي ما يجعل المكتبة العربية التاريخية تزخر به خاصة كتابه "الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد" وكيف تأثر الأدفوي بشيخه العالم أبا حيان الغرناطي الذي أشار إليه بالكتابة في تراث الصعيد الأعلى ثم تناولنا المنهج الذي أتبعه الأدفوي في كتابه التاريخ في ضوء كتابه الطالع السعيد.

وقد أنهيت البحث بخاتمة ضمنتها النتائج التي توصلت إليها الدراسة ثم أرفقت خرائط توضيحية تبين موقع مدينة أدفو التابعة لإقليم القوصية زمن الإدفوي التي تخدم موضوع البحث ثم قائمة المصادر والمراجع.

نبذة تاريخية عن موقع مدينة أدفو وتطورها الإداري حتى زمن الأدفوي:

مدينة أدفو [١] إحدى مدن صعيد مصر الأعلى [٢] تقع شمال مدينة أسوان بمسافة ٩٠ كيلومتر وجنوب مدينة القاهرة بمسافة ٨٠٠ كيلومتر وهي من أقدم المدن المصرية وعاصمة الإقليم الثاني من أقاليم مصر العليا [٣] وتميزت مدية أدفو بأسماء دينية مقدسة منها Perhot ومعناها مدينة هوريس إله أهل أدفو القدماء أو

---

[١] أدفو: بضم الهمزة وسكون الدال وضم الفاء وسكون الواو اسم قرية بصعيد مصر بين أسوان وقوص، ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار إحياء التراث الإسلامي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ص١٠٧. وينقسم الصعيد إلى ثلاث أقسام، القسم الأول الصعيد الأسفل ويشمل الآن محافظات الجيزة والفيوم وبني سويف والقسم الثاني الصعيد الأوسط ويشمل محافظات المنيا وأسيوط وسوهاج، القسم الثالث ويشمل محافظتي قنا وأسوان، محمود الحويري: أسوان في العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٣، عبد الحميد حسين محمود حمودة: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الصعيد الأعلى في العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الزقازيق، ١٩٨٨م، ص٢.

[٢] تنقسم مصر من الناحية الطبيعية إلى قسمين الوجه البحري أو مصر السفلى، والوجه البحري أو أعلى الأرض أو الصعيد، محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٣م، ق١، ص٢٨، والصعيد المرتفع من الأرض وقيل الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة وقيل لم يخالطه رمل ولا سباخ وقيل الأرض الطيبة ويعتبر العرب أول من أطلقوا على جنوب مصر اسم الصعيد الأعلى، المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١، ص ٥٣٢، محمود الحويري: أسوان في العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ١٩٩٦م، ص١٣.

[٣] ترجع أهمية معبد مدينة أدفو لكونه أجمل وأكمل المعابد فهو ينفرد من بين المعابد المصرية القديمة أنه سليماً كاملاً وأيضاً إلى أن أدفو لها أهميتها الفنية منذ الدولة القديمة وترجع أهميتها لكونها بيت الإله حور في الجنوب. انظر سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠١م، ج١٥، ص ٢٠٨-٢١٥.

AaouitHor أو Behed أو Behdit وهو اسم أطلق على العديد من المدن المصرية القديمة التي بها محاريب العبادة الإله هوريس وهو الصقر الذي اختصت بـه مدينـة أدفو واسمها المدني Zba أو Zbat ومعناها مدينة صندوق المال وأسماها اليونـانيين Apollonopolis Magna أي الكبيرة [١].

كما ورد اسم مدينة أدفو في الأسـقفيات Pollomos ono = T.Tbo وأطلـق عليها الرومان اسم Apollonopolis magna ومعناها أبوللونوس العليـا ومعناهـا مدينة المال أما اسمها الحالي مأخوذ من التسمية القبطية Atbo (آتبو) [٢] كمـا جـاء ذكر مدينة أدفو في كتب كل من استرابون [٣] وبطليموس وغيرهمـا مـن المـؤلفين القدماء [٤] وأصبحت إحدى كور [٥] مصر العليا.

---

[١] محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ص٢١١، سليم حسـن: المرجـع السـابق، ج١٥، ص٢١٣، ممدوح عبد الرحمن: الحركة الفكرية لمدينة أدفو في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، بحث منشور في مجلة كلية الآداب بقنا، ٢٠١١م، ص٢٢٥.

[٢] محمد رمزي: المرجع نفسه والصفحة والجزء.

[٣] استرابون: استرابون في مصر، نقله من اليونانية دكتور وهيب كامل، مكتبة الأنجلو المصـرية، ١٩٥٣م، ص١١٥،

[٤] علي مبارك: الخطط الجديدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ج٨، ص١٩٤.

[٥] الكورة: اسم فارسي كان يطلق على قسم من الأقسام الإدارية وقد أخذ العرب هذا الاسم وأطلقـوه على مناطقهم، فالكورة هي كل صقيع يشمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبه أو مدينـة تجمعها، وعلى رأسها حاكم يسمى صاحب الكورة وله اختصاصات تشبه إلى حد ما اختصاصات المحافظين حالياً، ولكن أصحاب الكورات كانوا مسئولين أمام البلاد مباشرة وكانت الكورة تصغر وتكبر حسب ظروف الزمان والمكان وتفاوت الحضارة والعمران وكانت مصر مقسمة إلى ثمانين كورة في فترة عصر الولاة. سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٢م، ص٧٩، صلاح سليم طايع: مدينة قفـط منـذ الفـتح العربـي الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري، دراسة سياسية حضارية، دار الوفاء، الإسـكندرية، ط١، ص٢٩؛ محمود الحويري: أسوان في العصور الوسطى، دار عـين للدراسـات الإنسـانية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٢٢، والكورة (بضم الكاف) المدينة والصقع. الفيروز أبـادي: القاموس المحيط، طبعة دار الجيل، بيروت (د.ت)، ج٢، ص١٣٤.

وتقع مدينة أدفو على الضفة الغربية لنهر النيل وبها قرى كثيرة من الجانبين الشرقي والغربي لنهر النيل [١] وتتميز بأراضيها الشاسعة وجزائرها الكثيرة ويبلغ طولها يوم وربع يوم [٢] وتقع بين أسوان وقوص [٣] وبينها وبين إسنا مسيرة يوم ليلة في الصحراء [٤] ومن أدفو إلى إسنا بريدان [٥] ومن أدفو إلى أسوان أبرد ونصف [٦] أما من الناحية الجغرافية فإن أرض مدينة أدفو محدودة من الشرق والغرب بسلاسل الجبال ومن أشهرها جبل أبرمات عند أسوان وجبل السلسلة بين أسوان وإسنا وعلى ساحل البحر الأحمر سلسلة جبال موازية لساحله مكونة من عدة جبال أهمها جبل زبارى بمحاذاة مدينة أدفو [٧] ومن جهة الغرب تتصل بالواحات عن طريق دروب ساحل البحر الأحمر سلسلة جبال موازية لساحله مكونة من عدة جبال أهمها جبل زبارى ساحل البحر الأحمر سلسلة جبال موازية لساحله

وأيضاً لفظ كورة مأخوذ من الاسم اليوناني خورا Chora والكورة مقسمة إلى عدة كور ولم يكن لهذا التقسيم شيئاً يذكر إلا في الأقاليم المعروفة في العصر البيزنطي والتي تحولت خلال القرن الخامس الميلادي باسم باجارش Pagarchie وكان صاحب الكورة على رأسها وهو لفظ مشتق من اللفظ اليوناني بجارخوس Pagarchos، سيدة إسماعيل الكاشف: مصر في فجر الإسلام، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٧٦.

[١] ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر ت ٨٠٩هـ): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت د.ت، ق٢، ص٢٩، الأدفوي: الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م، ط٢، ص٢٤.

[٢] الأدفوي: المصدر السابق، ص٢٤.

[٣] ياقوت: معجم البلدان، الجزء نفسه والصفحة، البغدادي: مراصد الإطلاع، دمشق ١٩٥٤، ط١، ج٣، ص١١٣٣.

[٤] ابن بطوطة: الرحلة المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، شرحه وكتب حواشيه طلال حرب، ص٧١.

[٥] ابن حوقل: صورة الأرض، بيروت ١٩٧٩م، ص١٣٦، والبريد يعادل أربعة فراسخ والفرسخ يعادل ثلاث أميال، شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، نشر Merhen، ليبزج، ١٩٢٣م، ص١٣.

[٦] ابن حوقل: المصدر السابق، ص١٣٦.

[٧] إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، القاهرة، ١٣١٤هـ، ج٢، ص٧٢.

مكونة من عدة جبال أهمها جبل زبارى بمحاذاة مدينة أدفو [١] ومن جهة الغرب تتصل بالواحات عن طريق دروب ومسالك صحراء مصر الغربية [٢].

وتقع مدينة أدفو ضمن الإقليم الصحراوي ذات المناخ الجاف الذي يمتد من المنيا حتى أسوان، حيث لا يسقط المطر إلا نادراً، وإذا سقط فإنه يعتبر من الأعاجيب لأن هطوله يكون على هيئة سيول فجائية ثم ينقطع فجأة ويصحو الجو ولا يتبقى إلا سيول تجري في الأودية التي تخترق الصحراء على جانبي وادي النيل [٣]، لذا أشار ابن الفقيه [٤] أن من عيوب مصر أنها لا تمطر وتهب عليها جهة الجنوب رياح جنوبية يطلقن عليها الرياح المريسية، وهواء الإقليم نقي ومفيد لصحة الأهالي حيث أشار التونسي [٥] أن المولودون فيها تراهم أصحاء أقوياء.

أما التقسيم الإداري لمدينة أدفو فإنه لا يخرج عن نطاق التقسيم الإداري لمدن الصعيد الأعلى بعد الفتح العربي الإسلامي، فعندما أتم العرب فتح مصر وجدوا بها نظاماً إدارياً ثابتاً ومتطوراً مبنياً على حضارة ومدنية متأصلة [٦] منذ العصور المتعاقبة، فأبقوا النظام الإداري كما كان في العصر البيزنطي [٧] بل ساهمت جميع الأجيال الرومانية

---

[١] إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، القاهرة، ١٣١٤هـ، ج٢، ص٧٢.

[٢] الواحات: منطقة غربية وراء الوجه القبلي في مغاربه ولا تعد في الولايات ولا في العمال ولا يحكم عليها من قبل السلطان وإنما يحكم عليها من قبل مقطعها. العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د.ت، ص١٠٠.

[٣] محمد عوض محمد: نهر النيل، القاهرة، ص ٢٤٢–٢٥١، جمال الديناصوري: دراسات في جغرافية مصر، القاهرة، ١٩٥٧م، ص١٨٦.

[٤] وذلك أنه كانوا يطلقون على أعالي الصعيد وأدفو إلى بلاد النوبة مريس، وإذا هبت الرياح المريسية ثلاثة عشر يوماً تباعاً فإنها تؤدي إلى الموت والفناء. ابن الفقيه: كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، القاهرة، د.ت، ص١٢٨.

[٥] التونسي: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق مصطفى سعد وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م، ص٢٨٢.

[6] Lane Pool: History of Egyptian in the middle age, London, 1901, p. 18.

[٧] عطية مشرفة: نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، القاهرة، ١٩٤٨م، ص١٤٣.

والبيزنطية السابقة في تطويره، بدافع استغلال هذه الولايات استغلالاً منظماً لصالح روما القسطنطينية [١] بل أبقوا تلك النظم الإدارية اليونانية التي كانت تستعمل قبل الفتح العربي الإسلامي [٢] ولم يستحدثوا أي تغيير يذكر إلا بمقدار ما اقتضاه نظامهم الديني [٣] وكانت مدينة أدفو الكورة الخامسة والعشرين من كور مصر الإسلامية، ولكن طبقاً لقائمة المقريزي والتي قام بتحقيقها ونشرها جان ماسبيرو Jeun Mospero وجاستون فيت Gaston Wit قسمت مصر العليا إلى أركاديا والطبياد إلى ثلاثين كورة صغيرة ومجموع قراها ١٠٤٣ قرية [٤] وكانت مدينة أدفو إحدى الباجارشيات البيزنطية والي كان يطلق عليها مدينة أبوللونوبوليس (مدينة أبوللو) تلك المدينة التي تشن الحرب على التماسيح كما ذكرت على الجانب الآخر من نهر النيل مدينة هيراكونبوليس.

وهي مدينة الكوم الأحمر غرب النيل شمال أفدو، ومدينة ايليثويا ومعبدها وهي مدينة الكاب وكانت تعرف في الأساطير اليونانية إله الوضع [٥] .

ويبدو أن الوضع الإداري لمدينة أدفو ظل كما هو عليه في عصر الولاة (٢١–٢٥٤هـ/ ٦٤٢–٨٦٨م) والعصر الطولوني (٢٥٤–٢٩٢هـ/ ٨٦٨–٩٠٥م) ولم يطرأ عليه أي تغير خلال هذين العصرين، وإن كان ابن دايه يشير في كتابه (المكافأ) أن أحمد بن طولون قد قلد أحمد بن دعيم الصعيد الأعلى كله [٦] إلى أن جاء العصر الفاطمي

---

[١] أمين محمود عبد الله: تطور الوحدات الإدارية في مصر العليا، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٥، ص٧٠.

[٢] البكري: الكواكب السائرة، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٠٩١، تاريخ ورقة ٩، سعاد ماهر: محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٦، ص٥، سيدة كاشف: مصر في عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م، ص٢٥.

[٣] أحمد حامد أحمد: مدينة إسنا منذ الفتح الفاطمي لمصر حتى نهاية العصر المملوكي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، ٢٠٠٤م، ص٥.

[4] Wiet & Mospero: Noterauxpur Serivir ala Geograohie de le Egypt, p. 31.

[٥] استرابون: استرابون في مصر، ص١١٥.

[٦] سيدة إسماعيل كاشف: أحمد بن طولون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٠م، ص١٦٧.

(٣٥٨هـ/ ٦٦٩م) حيث أحدث الفاطميون تعديلات جوهرية على النظام الإداري في مصر [١] وذلك بهدف تسهيل إدارتها [٢] فقسم الفاطميون مصر إلى أربع ولايات كبرى ومدينة قوص هي أعظم هذه الولايات ووليها يحكم على جميع بلاد الصعيد، فهي مدينة تقع على الشاطئ الشرقي لنهر النيل توجد قرب خط عرض ٥٥ َ ٢٥ شمالا، وخط طول ٤٥ َ ٣٢ شرقاً وأشار إليها الأدفوي [٣] بأنها أهم مدن الصعيد في عصره، كان لها في العصور الوسطى شأن عظيم وبها ست مدارس والعديد من الزوايا والأضرحة وكانت مركزاً لرجال العلم والعلماء ولا تزال تحتفظ بالجامع العتيق الفاطمي وهي قصبة إقليم الصعيد ومحط التجار القادمين من عدن، وكانت مدينة أدفو من أهم الكور التي تتبع ولاية إقليم قوص أو القوصية. من أرمنت مروراً بإسنا وأبنود، أملاك بني يونس، أبسوج البحري، الدري، أرض اليهودية، وقوص (العاصمة) والدمقرات والأقصرين حتى ثغر أسوان [٤] وكما ذكر ابن الجيعان [٥] أن صعيد مصر قد تغير في العصر الفاطمي فقُسِّم إلى ثلاث أعمال هي الأسيوطية[٦] والأخميمية [٧] والقوصية، لذلك كان والي قوص هو المسئول الأول على الإشراف على شئون ولاياته بما فيهم مدينة أدفو إضافة إلى استتاب الأمن والنظام في ولايته بل كان له الحق في تعيين العمال على المدن والقرى والنواحي الداخلة في نطاق ولايته، فكان والي أدفو في منزله نائبة، فكان ينفذ ما يصدره والي

---

[١] العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للغات الشرقية، القاهرة، د.ت، ص٩٩، حاشية ٩، محمود الحويري: أسوان في العصور الوسطى، ص٢٤.

[٢] عطية مشرفه: نظم الحكم في مصر في عصر الفاطميين، القاهرة، ١٩٤٨م، ص١٤٦.

[٣] الأدفوي: الطالع السعيد، ص١١، المقريزي: الخطط، ج١، ص٦٥٧، Greswel: The muslim architecture f Egypt, Vol. III, p.23, Garcim J.C.: Uncenter muslman de la houte Egypte medieval Qos, Le Caire, 1976, p.p. 95-99-134.

[٤] ابن مماتي: قوانين الدواوين، تحقيق د. سعيد سوريال عطية، القاهرة، ١٩٤٣م، ص١٠٨.

[٥] التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٤، ص٥.

[٦] الأسيوطية: عاصمتها أسيوط، وولايتها أبو تيج وأبويط، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م، مج١، ص٢٩.

[٧] الأخميمية: عاصمتها أخميم وولاتها ساقية قلته، البيارات وسلاق، سوهاي، جزيرة شتدويد، وسمنت وقلقا، والمنشية والمراغة، السيوطي: المصدر نفسه، والمجلد والصفحة.

قوص من أوامر وتعليمات كما كان والي قوص ينفذ الأوامر التي تصدر من الخليفة الفاطمي [١].

كما تميزت مدينة أدفو كمركز تجاري هام خلال العصر الفاطمي وقد هيأ لها لها موقعها الجغرافي، أن تحتل مكانة مرموقة في مجال التجارة الداخلية من خلال موقعها الجغرافي على الجانب الغربي للنيل [٢] وكان بأدفو سوق يزخر بالأقمشة والفواكه، إضافة إلى اشتهار صناعة العسل بها الذي كان يتم تصديره إلى الفسطاط[٣] إضافة إلى كثرة النخيل بها حتى أن تمرها لا يقوى أحد على أكله، وكان أهلها يدقونه في الهاون فيبقى كالسكر ويخلط مع العصائد وأيضاً يصنعن منه شيئاً يشبه الكعك [٤].

أما في العصر الأيوبي (٥٦٧-٦٤٨هـ) بقى النظام الإداري كما هو عليه من قبل، لأن صلاح الدين الأيوبي، كان اهتمامه الأول توحيد الجبهة الإسلامية في مصر والشام والجهاد ضد الخطر الصليبي [٥] فبقيت أدفو إحدى ولايات قوص وكورة مستقلة في الصعيد الأعلى. لكن من الملاحظ في عهد السلطان الكامل الأيوبي (٦١٥-٦٣٥هـ/ ١٢١٨-١٢٣٨م) قسمت مصر إلى قسمين إداريين هما الوجه البحري والوجه القبلي وتكون القاهرة عاصمة لهما [٦].

أما التطور الإداري الدقيق لمصر خلال دولة المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م) وهي تلك الحقبة التي عاش فيها المؤرخ الكمال الأدفوي (٦٨٥هـ/ ٧٤٨هـ) فقد تطور النظام الإقليمي والإداري لمصر تطوراً دقيقاً فأضحت الإدارة الإقليمية للوجهين القبي والبحري خارج القاهرة والإسكندرية، كان الإشراف عليها لمجموعة من الولاة وقسمت أعمال الوجه القبلي إلى ثمانية أقسام لكل قسم وال

---

[١] جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٢٩.

[٢] ابن دقماق: الانتصار، ق٢، ص٢٩.

[٣] جروهمان: أوراق البردي العربية، ترجمة د. عبد الحميد حسن، ومراجعه د. محمد مهدي علام، القاهرة، ١٩٦٨م، ج٥، ص١٣٦.

[٤] دائرة المعارف الإسلامية، مادة أدفو.

[٥] محمود الحويري: أسوان في العصور الوسطى، ص٢٤.

[٦] حسنين ربيع: النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٨٧-٨٨.

[١]. وهي الجيزة والفيومية والأشمونية والأطفيحية والبهنساوية والأسيوطية والقوصية [٢] وأضحت مدية أدفو إحدى أعمال القوصية مثلما كانت خلال العصر الفاطمي وامتد نفوذ الولاة إلى جميع أعمال الصعيد [٣] وفي عام ٥١٧هـ/ ١٣١٥م مسحت أراضي مصر في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون عرف باسم "الروك الناصري" وانفصلت أسوان من ولاية قوص بعد أن كانت تابعة لها.

لما كانت مدينة أدفو من الصعيد الأعلى الموضع الذي ولد فيه المؤرخ كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي والمكان الذي نُسب إليه ونشأ فيه (٦٨٥-٧٤٨هـ/ -١٤٤٥م) [٤] ذكرها العديد من المؤرخين والجغرافيين على أنها تتمتع بوقع جغرافي ممتاز وأنها من أهم المدن في الوجه القبلي.

حيث ذكر ابن حوقل [٥] أن من محاسن مدينة أدفو أن ماءها عذب وصافي وأشد بياضاً وحلاوة وتشرف مباشرة على نهر النيل ذلك الأمر الذي سهل لها حركة التنقل والوصول إليها في سهولة ويسر.

وأشار المقريزي [١] أيضاً بأنها ثمار كثيرة وأن بعد عملية الحضر لصناع الطوب في أدفو ظهر صورة شخص من حجر على شكل امرأة متربعة على كرسي

---

[١] ابن الجيعان: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص٤-٥.

[٢] المقريزي: الخطط، ج١، ص٥٣٢، السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص٢٩.

[٣] وقد اصطلح في ذلك العصر على تسمية وال الولاة (الكاشف). ابن الجيعان: المصدر السابق، ص١٩١، وكان الكاشف يعين من قبل الطبلخاناه، محمد عبد الغني الأشقر: نائب السلطنة المملوكية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٨٠.

[٤] حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، القاهرة، ١٩٤١م، ج١، ص١٥٣، ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من دهب، طبعة بيروت، د.ت، ج٦، ص١٥٣. وبها يربتين لمباني أثرية قديمة ذات تماثيل وصور وكتابات قديمة. ابن بطوطة: الرحلة، ص٧١، ٢٩٤.

[٥] ابن حوقل: صورة الأرض، طبعة بيروت، ١٩٣٩م، ص١٥٦، ممدوح عبد الرحمن: الحياة الفكرية لمدينة أدفو في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، بحث منشور في كلية الآداب بقنا، العدد ١١ ، ٢٠١١م، ص٤٢٦.

وفي ظهرها لوح مكتوب بالقلم اليوناني وبها بربتين لمباني أثرية قديمة ذات تماثل وصور وكتابات قديمة [٢] وهذا دليل على أن تاريخ المدينة عريق ممتد من العصور القديمة الفرعونية والرومانية واليونانية كما اشتهر أهلها بالعفة والصدق والفضل وحب العلم وإكرام الضيف وإغاثة الملهوف [٣].

وأشار إليها ابن دقماق [٤] بغزارة إنتاجها الزراعي من المحاصيل والفاكهة الحسنة وكرومها المثمرة خلال العصور الإسلامية والمسعودي [٥] أشار بأن نخيلها مثمر وذات حلاوة وبها قوم من أهل العلم والمكارم، أما البغدادي [٦] فذكر أن بها أقوام مشهورون بالرئاسة وإكرام الوارد إليهم إضافة إلى وجود الثروة الحيوانية كما أشار إليها قدامة بن جعفر [٧] وأفاض في وصفها العديد من المؤرخين.

كما ساهمت مدينة أدفو ببعض الصناعات الشعبية، فاستغل الصناع والحرفيون مواردهم من البيئة المحلية وأقاموا عليها الصناعات البسيطة، تلك هي الصناعات التي اختصت بها مدن الصعيد الأعلى دون غيرها من المدن، فوجد في مدينة أدفو صناعة الطوب التي انتشرت انتشاراً واسعاً خاصة زمن دولة المماليك [٨].

اشتهرت مدن الصعيد الأعلى بتنوع المعادن على أرضها واستخراجه من صحارى الصعيد منذ الفتح العربي الإسلامي، مثل استخراج معدن الذهب في المنطقة الواقعة شرق أدفو وهي التي تعرف بوادي العلاقي بين أسوان بين أسوان والبحر

---

[١] الخطط، ج١، ص٦٥٩.

[٢] ابن بطوطة: الرحلة، ص٧١، ٢٩٤.

[٣] دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة محمد فريد أبو حديد، القاهرة، ١٩٦٣م، ص٥٥٢.

[٤] الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج٥، ص٢٩.

[٥] مروج الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة، ١٩٨١م، ج١، ص١٧٢.

[٦] الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، طبعة القاهرة، ١٢٨٦هـ، ص٤١.

[٧] تقع بين اسني وأسوان، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق الدكتور محمد حسين الزبيدي، وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة كتب التراث (١١٠)، العراق ١٩٨١م، ص١٧٨.

[٨] ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عهد المماليك الجراكسة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٤م، ط١، ص١٢١.

الأحمر على مسافة خمسة عشر يوماً من أسوان [١] . أما الشب وهو الذي كان يستخدم في عملية الصباغة طوال العصور الوسطى وكان أنقى الأنواع يستخدم في الأغراض الطبية أما الأقل نقاءً يستخدم في عملية الصباغة والدباغة [٢] وكان الشب الجيد يستخرج من المنطقة الصحراوية الممتدة والمواجهة لمدينة أدفو ومنها ينقل إلى ساحل إخميم مع الشب المستخرج من الواحات ثم إلى البهنسا ثم إلى مدينة الإسكندرية [٣].

وأشار الإدفوي يوجد النفط في مدينة أدفو [٤] وكان يحمل في زمن سلاطين المماليك إلى خزانة السلاح السلطانية[٥].

لذا أسهمت مدينة أدفو بدور مهم في تجارة مصر الداخلية والخارجية كما قامت حاصلاتها الزراعية ومنتجاتها الصناعية بدور فعال في تلك التجارة وذلك عن طريق الطرق التجارية المهمة التي تميز بها الصعيد الأعلى وكان من بينها الطريق النيلي وأيضاً طريق (عيذاب – أدفو) وهو من الطرق الذي سلكه الرحالة ابن بطوطة في رحلته للحج عام (٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م) حيث وصل إلى أدفو ومنها إلى مدينة العطواني

---

[١] والمعدن يوجد في أرض مبسوطة ويسمى ذلك المكان الذي فيه مجمع الناس بالعلاقي. الاصطخري: مسالك الممالك، طبعة ليدن، بيريل ١٩٣٧م، ص٥٤، أبو الفدا: تقويم البلدان، باريس، ١٩٤٠م، ص١٢١، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، د.ت، ص٢٤.
Ashtor (A): A social and educational History of the narliest times to 1821, press, 1955,p.80.

[٢] نعيم ذكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٣م، ص٢٣٩، محمد سميح عافية: التعدين في مصر قديماً وحديثاً، القاهرة ١٩٨٥م، ص٣٠٥.

[٣] ماهر أحمد مصطفى: المرجع السابق، ص١٢٤.

[٤] الطالع السعيد، ص٢٣–٢٤.

[٥] القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج٣، ص٤٥٥.

حتى وصل إلى حميثرة وقد استغرقت رحلته خمسة عشر يوماً حتى وصل إلى ميناء عيذاب [١] ثم يلتقي هذا الطريق مع طريق (قوص – عيذاب) عند حميثرة[٢].

وعيذاب من أهم المواني التي تقع على ساحل البحر الأحمر يقع بين خطي طول ٣٢ْ – ٣٦ْ وخطي عرض ١٩ْ – ١٢ْ وعلى بعد ١٢ ميلاً شمال حلايب، الساحل الشرقي للبحر الأحمر، فازدادت أهمية عيذاب وبخاصة في العصر الفاطمي، ابتداء من ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م بسبب الشدة التي قاستها مصر في عهد الخليفة المستنصر بالله وذلك نتيجة لخراب الدلتا وتحولت قوافل الحجاج المصريين والمغاربة من طريق شبه جزيرة سيناء إلى طريق النيل حتى قفط وأدفو وأسوان ومنها عبر الصحراء الشرقية إلى عيذاب وأدت حوادث الحروب الصليبية إلى أن ظل هذا الطريق تعبره قوافل الحجاج حتى فتح الطريق القديم في عهد السلطان المملوكي بيبرس ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م [٣]، وكان هذا الميناء يواجه ميناء جدة الذي يقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر [٤] ويخدم أيضاً السفن لقادمة من جنوب بلاد العرب والهند وشرق أفريقيا والصين [٥].

أما المؤرخ الكمال الأدفوي أفاض في وصف مدينته التي نشأ فيا من خلال كتابه "الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد"، سواء من الناحية الاقتصادية فأشار بأن أدفو بها نخيلاً كثيرة وأشجاراً غزيرة ولحم غنمها أطيب لحوم الإقليم وعن عراقة أدفو ذات

---

[١] ابن بطوطة: الرحلة، القاهرة، ص٧١.

[٢] ابن جبير: رحلة ابن جبير، القاهرة، د.ت، ص٤٣، عبد العال عبد المنعم الشامي: الصحارى المصرية في العصر الوسيط، القاهرة، ١٩٨٧م، ص١٢٨، سعيد عثمان: صعيد مصر في عصر المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج، ١٩٩٧م، ص١٣٥.

[٣] أحمد دراج: عيذاب، مقال بمجلة نهضة أفريقيا، العدد السادس، أبريل ١٩٥٨، ص٥٦-٥٧.

[4] Hassan Y. F.: The arab and the Sudan from the seventh to the early sixteenth century, No date of printing, p. 66.

[5] Goiten (S.D.): A Mediterranean society, vol.1, Los Anglos, 1967, p.

الحضارة والتاريخ ذكر أن بها براب كثيرة في غاية العجب والارتفاع بها صور مختلفة وأشكال متنوعة [١]. فأنشد في مدينة أدفو شعراً قال فيه[٢]:

لله أيام بأدفو قد مضت بين الرياض أجبل فيها الناظرا
أني اتجهت رأيت ماءً جارياً أجلوا الهموم به وزهراً ناضرا
وأشم من ريحانها وزهورها مسكاً يفوح لنا ونشرا عاطرا
وبمائها وثمارها ولحومها مثل غدا بين البرية سائرا
لا أقفرت تلك الربوع ولا عفا مغنى بها بالجود أصبح عامرا

فنلاحظ من خلال هذه الأبيات أن الكمال الأدفوي يصف الحالة الاقتصادية وكيف أصبحت مثلاً بين سائر المدن لما بها من ثمار ورياحين وزهور وماء نقي وكذلك لما بها من ثروة حيوانية. فهي كانت عامرة وأرضها متسعة بجزائرها. ومسافة طولها يوم وربع يوم [٣].

وكان لأهل أدفو سمات بارزة وأخلاق ميزتهم عن باقي أبناء القطر المصري فهم كانوا على جانب كبير من الورع والحياء والصلاح والتقوى، محبي للعلم، كما كان أهل أدفو مشهورون بإكرام الوارد وإغاثة الملهوف [٤] وإسداء المعروف، معروفون بالعفة، موصوفون بالصدق والتحرز في الأقوال [٥] كما كان بأدفو جمع كبير من أهل المكارم والرياسة.

---

[١] الأدفو: الطالع لسعيد، ص٣٦.

[٢] الأدفوي: المصدر نفسه والصفحة.

[٣] الأدفوي: المصدر السابق، ص٢٤.

[٤] ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ق٢، ص٢٩.

[٥] أشار الأدفوي أن الأديب الفاضل علاء الدين علي بن أحمد بن الحسين الأسفوني أقام في أدفو سنين كثيرة حينما كان والده شاهد ديوانها فكان صديقاً له ولاجتماع به يذهب الأنزاح ويجلب الأفراح إلا أن رجلاً يقال له "الصفيّ" أجحف وأضنى بأهلها مدة، فطلع له شقفه في ظهره فكانت سبب وفاته فقال الفاضل علاء الدين هذين البيتين.

كما أشار الأدفوي في طالعه على حالة استتاب الأمن في إقليم الصعيد ولاسيما في الوجه القبلي حيث يسير الإنسان فيه ليلاً ومعه ما يشاء فلا يجد من يعترضه في الطريق فركب دابته ذات مرة ودخل عليه الليل فربطت الدابة في حجر ونمت[١]، ودلالة ذلك على الأمن الذي كان يسود مدينة أدفو والمناطق المجاورة لها في وقت نشطت فيه حركة التجارة ومرور الحجاج عبر أرضي الصعيد الأعلى إلى الأراضي المقدسة.

اختلفت آراء المؤرخين حول اسم والد كمال الدين جعفر ابن ثعلب الأدفوي (بالثاء والعين المهملة) حيث ورد في العديد من المؤلفات التاريخية ومنها "حسن المحاضرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة" [٢] باسم ثعلب نسبة إلى قبيلة الثعالب وهي بطن طئ القحطانية [٣] كانت مساكنهم بصعيد مصر ثم تفرعت إلى بطون كثيرة منها الأنصار وهم من بطون الأزد ومنها جذام وبنو كلب والأحامده وخولان وومذجح وهمدان ولخم وبلى وجهينه وطئ الذي منهم بني ثعلب بين عمرو بن غوث بن طئ ببلاد الصعيد ومنهم جماعة يقال لهم الثعالب [٤] ومن المرجح أن الثعالب وصلوا إلى مدينة أدفو واستقروا بها ومنهم المؤرخ كمال الدين بن جعفر بن ثعلب الأدفوي الذي ترجم البعض ذوي قرابته ووصفهم بأنهم ثعالبة مثل إبراهيم بن محمد الثعلبي الأدفوي وأحمد بن كامل بن الحسن الثعلبي، وجعفر بن مطهر بن نوفل

أهل أدفو عن يقين أهل معروف وعفة
الصفيَّ جار عليهم راح مرجوماً بشغفه

الطالع السعيد، صفحات ٣٥، ٣٦، ٢٦٥، ٣٦٦.

[١] الأدفوي: الطالع السعيد، ص٢٨.

[٢] السيوطي: حسن المحاضرة، مج٢، ص٤٨٠.

[٣] القبائل القحطانية: تنقسم تلك القبائل إلى قسمين هما كهلان وحمير وتنقسم كهلان إلى فرعين هما مالك وعريب ومن أولاد مالك الأزد وهم بنو الأزد بن الغوث بين بنت ممالك بن زيد بن كهلان، أحمد السكندري ومصطفى العناني: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، القاهرة، د.ت، ص٢٨٤.

[٤] القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، ١٩١٩م، ص١٨٤.

الثعلبي الأدفوى الطبيب الفيلسوف لأنه كان عالماً بعلوم الأوائل من الطب والفلسفة[١] وحسن بن علي بن ثعلب الأدفوي [٢].

وعاشت قبيلة الثعالبة جنباً إلى جنب في مدينة أدفو مع القبائل العربية ثل قبيلة العبابدة [٣] الذين عاشوا في المنطقة الواقعة بين الصحراء الشرقية والنيل والبحر الأحمر، كما كان لهم امتداد آخر في السودان. ومن الصفات التي تحلت بها قبائل العبابدة عدم الخيانة والخائن مستبعد من مجتمع العبابدة لأن طبيعة البيئة الصحراوية تحتم عليهم التعامل بثقة وكانوا يعيشون عيشة البساطة وتشارك المرأة الرجل في عمله [٤] وينقسم العبابدة إلى أربع بطون هي العشاباب في الصحراء الشرقية بين قنا وكورسكور والميليكاب بين دراو وبربر والفقراء شرقي النيل وغربه ومركز شياختهم قرية الرمادي (وهي على الضفة الغربية للنيل قرب مدينة أدفو) والعبوديين يتشرون بين قنا وكورسكو [٥] وقد اشتغل العبابدة كأدلاء للقوافل التي تعبر الصحراء الشرقية خاصة طريق أدفو – عيذاب وقوص – عيذب، وكانت لهم تجارة واسعة من الإبل والسنامكي وفحم السنط المستخرج من أشجار الصحراء الشرقية ويذهبون بها إلى أسواق دراو

---

[١] السيوطي: حسن المحاضرة، مج١، ص٤٧٠.

[٢] الأدفوي: الطالع السعيد، ص٢٠٧.

[٣] تذكر روايات العبابدة أنهم ينتسبون إلى عباد بن الزبير بن العوام وأنهم من عرب الحجاز وقيل أن جدهم عباد قدم من الجزيرة العربية إلى مصر في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي. ثم مات ودفن بأدفو بوادي عباد قرب أدفو جهة الشرق وقيل أنهم عريقون في المنطقة. المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق د. عبد الحميد عابدين، الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص٤١، هامش ٧٥، عمر رضا كحالة: معجم القبائل العربية، بيروت، ١٩٩١م، ج٢، ص٧١٧، سمير محمد خواسك: في بلاد العبابدة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١٥، مصطفى مسعد: البجه والعرب في العصور الوسطى، مقال بمجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج٢١، ج٢، ديسمبر ١٩٥٩م، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٤٨، محمد رياض: العبابدة دراسة في الاقتصاد الصحراوي، أعمال ندوة ألقيت بالجمعية الجغرافية في ١٩٦١/٤/٢٦م، ص١٠١.

[٤] سمير محمد خواسك: في بلاد العبابدة، ص١٢٩.

[٥] نعوم شقير: تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، القاهرة، ١٩٠٤م، ج١، ص٥.

وأسوان. ويعودون محملين بالغلال وبعض السلع الأخرى [١]، واستقر عدد كبير من العبابدة في قرى أدفو ومدن الصعيد الأعلى وتمرسوا الزراعة[٢].

العوامل التي أثرت على الكمال الأدفوي في كتابة التاريخ:

بدأ الأدفوي في طالعه بأن "التاريخ فن يحتاج إليه وتشد يد الصناعة عليه، إذ به يعرف الخلف أحوال السلف ويتميز منهم المستحق التنقير ممن هو أهون من النقير وأحقر من الفتيل ومن وسم منهم بالجرح ومن رسم بالتعديل وما سلكوا من الطرائق واتصفوا به من الخلائق، وأبرزوا من الحقائق للخلائق وهو أيضاً من أقوى الأسباب، في حفظ الأنساب أن تنساب، وقد وضع فيه السادة الفضلاء، والأئمة العلماء، كتباً تكاثر نجوم السماء، ثم منهم من رتب على السنين ومنهم من رتب على الأسماء ليكون إسناده أسمى ثم منهم من خص بعض البلاد ومنهم من عم كل قطر وواد".

وهنا ينبغي أن نشير إلى أن علم التاريخ صار علماً راسخاً يؤدي دوره الثقافي في خدمة المجتمع العربي الإسلامي، فالتاريخ فرع من فروع وصنفه العلماء الذين كتبوا في مراتب العلوم العقلية التي تخدم الشريعة الإسلامية [٣] وخاصة على أيدي رجال الحديث [٤] ومن فوائده معرفة الأجيال وحلولها وانقضاء العدد وأوقات التأليف وفاة الشيوخ ومواليدهم والرواة عنهم [٥].

فالتاريخ علم يرتبط بحياة الشعوب وتطور المجتمعات الإنسانية خاصة النواحي العلمية لأن التاريخ ينبع من الفطرة البشرية حيث يتشوق الإنسان للوقوف على حقيقة

---

[١] نعوم شقير: تاريخ السودان، ج١، ص٥٠، بوركهارت: رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد أندراوس، مطبعة المعرفة، القاهرة، ١٩٥٩، ص١٢٩.

[2] Klumzinger (C.B): Upper Egypt its people and its products. London, 1978, p. 254.

[٣] الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف): مفاتيح العلوم، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت، الطبعة الثالثة، ص٥.

[٤] محمد بن صامل السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدرسه، دار الوفاء، ١٩٨٨م، ط١، ص٥١.

[٥] السيوطي: الشماريخ في علم التاريخ، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٧.

جذوره، وهو ضروري لكل شعب يريد أن يكون جديراً باستمرار الوجود في وسط هذه الأمواج المتلاطمة من الصراع الإنساني من أجل البقاء وأخذ مكانه الرفيع تحت الشمس، وبدون التاريخ تنعدم ذاكرة الأمم لأنه يقيها من النسيان والضياع لذا أدرك المؤرخون تسجيل نشاطاتهم العلمية وإنجازاتهم حتى لا تُمحى بمرور الزمن [١].

ويتضح لنا أن كتاب الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد هو العمل التاريخي والتراثي والأكاديمي الوحيد الذي انفرد بتراجم العلماء والكتاب في تاريخ الصعيد، ويعتبر أول محاولة جادة في تناول التراث العلمي للصعيد الأعلى منذ الفتح العربي الإسلامي حتى القرن الثامن الهجري ولولاه لنسفت رياح الزمن تماماً بثلة من علماء وفضلاء الصعيد الذي أورد الأدفوي لهم في كتابه، وإن كان قد أسهب في بعض التراجم وأصابه البخل في بعضها الآخر [٢].

ومن الواضح أن أول من حاول أن يضع تعريفاً جامعاً مانعاً ومحدداً لعلم التاريخ هو ابن خلدون حيث ذكر في مقدمته أن التاريخ في ظاهرة لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى، تنمي فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال، وتؤدي لنا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعيد في علومها وخليق[٣]، لذلك نظر ابن خلدون إلى أسباب الحوادث وحاول أن يكتشف الأسباب التي تؤدي إليها وذكر بدايات الحوادث وقيام الدول وأسباب سقوطها.

---

[١] محمود عرفة محمود: البحث التاريخي دراسة في المناهج والأصول وتحقيق النصوص، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٥.

[٢] قرشي عباس ندراوي: تاريخ التراث الصعيد الأعلى، مكتبة الآداب، القاهرة د.ت، ج١، ص٢٤.

[٣] ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تعليق أبو مازن المصري، وكمال سعيد فهمي، القاهرة، د.ت، ص٥.

كما ذكر أيضاً ابن خلدون [١] في فضل علم التاريخ: فن غزير المذهب، جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياساتهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا فهو محتاج إلى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة وحسن نظره وتثبيت بفيضان بصاحبهم إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط.

أما السخاوي عرف التاريخ بقوله "هو التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال، من مولد الرواة والأئمة، ووفاة وصحة وعقل وبدن ورحله وحج وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة من ظهور ملحمة وتجديد فرض وخليفة وزير وغزوة وملحمة وحرب وفتح بلد، وربما يتسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء وغير ذلك من أمور الأمم وأحوال القيامة ومقدماتها [٢]، وهو بذلك من يبحث عما يجري في وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت وموضوعه الإنسان والزمان [٣] فلابد أن يكون المؤرخ عالماً عدلاً عارفاً بحال من يترجمه ليس بينه وبينه من الصداقة ما قد يحمله على التعصب ولا من العداوة ما قد يحمله على الغض منه [٤].

ومن الطبيعي أن تشمل النهضة الثقافية علم التاريخ لذي صار علماً راسخاً يؤدي دوره الثقافي في خدمة المجتمع الإسلامي. ويمكن الإشارة إلى أن ظهر مدرستين في ميدان، تدوين التاريخ خلال عصر الأدفوي وهي المدرسة الشامية والمدرسة المصرية إلا

---

[١] المقدمة، ص١١، السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٣٤.

[٢] السخاوي (محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ): الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، طبعة حسام القدسي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص٧.

[٣] السخاوي: المصدر نفسه والصفحة.

[٤] السبكي (تاج الدين عبد الوهاب السبكي ت ٧٧١هـ): معيد النعم ومبيد النقم الإصلاح السياسي والإداري في الدولة العربية الإسلامية، دار الحداثة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص٧٤.

أن المدرسة الشامية تميزت بالاهتمام الفائق بالتراجم والوفيات والشئون الدينية ونشاط علماء الدين وذلك لأن معظمهم كانوا من علماء الدين [١].

وقد ازدهرت الكتابة التاريخية في مصر طوال عصورها التاريخية إلا أن صعيد مصر حظي بتطور كبير في عصر الأدفوي وهي فترة حكم دولة المماليك البحرية الذي يعتبر عصر الانتفاع بالموسوعات العلمية الذي ألفت منذ أن سقطت بغداد ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م على يد التتار فاستقطبت مصر العلماء الذين هاجروا إليها من خلال موجات متتالية لما فيها الأمن والاستقرار [٢].

تلقى الأدفوي أولى مراحل تعليمه في مدينة أدفو الذي كان شغوفاً بها، حيث افتتح دراسته بعلوم القرآن الكريم والحديث والفقه وهذه العلوم كانت تمثل الركيزة الأساسية في ثقافته، وانعكست تلك العلوم الدينية على مؤلفاته الموسوعية العديدة فظهرت الكتاتيب والمكتب وهو تعليم الصبيان الخط والأدب فبرز في مدينة أدفو منهم الحسن بن أبي الحسن بن عبد الرحمن الأدفوي الذي كان يعلم الأولاد في كتابه الخاص وكان عارفاً بعلوم النحو والأدب والشعر [٣] وإذا أردنا أن نقف على ثقافته الواسعة نجد لزاماً علينا أن نعرض للخلفية الثقافية في عصر الأدفوي أنه كب في عدة علوم إضافة إلى أنه نشأ في بيئة علمية فأهله بنو نوفل أهل مكارم ورياسة وجلاله ونفاسة ومناصب حُكمية، وصفات مرضية [٤] فكان جده لوالده على بن مطهر بن نوفل بن جعفر بن أحمد بن جعفر بن يونس الثعلب الأدفوي من أعيان أدفو، كان

---

[١] قاسم عبده قاسم: فكرة التاريخ عند المسلمين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١م، ط١، ص١٢١.

[٢] وأسباب ذلك يرجع إلى ما أصاب العالم الإسلامي في المشرق على أيدي التتار وفي الأندلس على أيدي الصليبيين من كوارث، فضلاً عما أصاب بلاد الشام من هجمات الصليبيين والتتار، وفي وسط تلك الغمة التي ألمت بالوطن العربي الإسلامي، فلم يجد علماء المشرق والمغرب بلداً إسلامياً آمناً سوى مصر التي تميزت من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، مركزً للخلافة العباسية، وصارت محل العلماء ومحط رجال الفضلاء، سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٣٢١-٣٢٢.

[٣] الأدفوي: الطالع السعيد، ص١٩١.

[٤] الأدفوي: المصدر نفسه، ص ٣٦.

عارفاً بالعلوم القديمة وفيلسوفا [١] وأيضاً علي بن ثعلب بن أحمد الذي كان رئيساً بأدفو وحاكماً بها وغيرهم ممن برعوا في العديد من العلوم النقلية أو العلوم العقلية. حتى صار في مدينة أدفو جلة من العلماء منهم من كان بارعاً في علم الفقه أو الحديث أو القراءات أو الفلسفة أو الطب أو غير ذلك على أننا نستشف من تراجم أبناء الصعيد الذي ترجم لهم الأدفوي هم من وجهاء أدفو وعظمائها وعلمائها تأثر بهم من خلال كتاباته التاريخية أيضاً.

وتنوعت الكتابة التاريخية لدى المؤرخين المسلمين، فاتخذت لها أنماطاً عديدة منها كتب التراجم، مما يوضح أن التقدم الذي أحرزه المؤرخين في الصعيد الأعلى لم يكن راجعاً إلى نمو المادة التاريخية وتراكمها أو تطور منهج البحث التاريخي وإنما كان راجعً إلى تعدد اتجاهات التأليف التاريخي التي كان منها استجابة لضرورة ثقافية واجتماعية فرضتها الظروف الموضوعية التي مرت بالعالم العربي الإسلامي[٢] وتكمن قيمة كتب التراجم عموماً كونها مصدراً خصباً من مصادر معلوماتنا عن التاريخ الثقافي والاجتماعي، فهي تقع داخل إطار النظرة الأخلاقية التي ترصد تراجم العلماء، ما يعين على اتخاذهم قدوة في أعمالهم الحسنة والتأسي بها [٣] وقد اشتغل الأدفوي بالتأليف والتصنيف في علوم مختلفة أغلبها من الحديث والفقه والتاريخ والموسيقي. وأنه كان على علاقة وطيدة بمعاصريه من العلماء والفقهاء.

والتراث التاريخي المتنوع يحفظ لنا نتاج ما قدمه لنا جمهرة المؤرخين الذين تنوعوا في ثقافتهم وخلفياتهم وبيئتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فيجب علينا أن نقيم الأدفوي من خلال كتابه "الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد" شأنه شأن فنان أو مبدع لأنه تفرد بسهولة الأسلوب كغيره، فكانت كتابة التاريخ لديه منهجية دلت على خلفيته الثقافية الواسعة، وقد كتب في عدة علوم، ثم انتقل إلى قوص ودرس فيها، فكانت تعد قوص مركز ثقافي مهم، حظيت وحدها بأكثر من نصف مدارس إقليم

---

[١] الأدفوي: المصدر نفسه، ص ٤١٦.

[٢] قاسم عبده قاسم: فكرة التاريخ عند المسلمين، ص١٠٣.

[٣] قاسم عبده قاسم: المرجع السابق، ص ١١٠-١١١.

الصعيد وأنشئ بها كما أورد الأدفوي[١] في طالعه ستة عشر مكاناً للتدريس، لعبت دوراً ثقافياً وحضارياً يناهز دور القاهرة والإسكندرية كمراكز للإشعاع الحضاري والثقافي ومن ثم أصبحت المدينة قاعدة للحركة العلمية بالصعيد بما تحويه من معاهد للتعليم [٢] سمع بها الحديث أخذ المذهب والعلوم من علماء العصر منهم ابن دقيق العيد، ت ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م وله مصنفات كثيرة [٣] وقد أسهب العيدري وهو الرحالة المغربي في وصف ابن دقيق العيد، فقال عنه "له تفنن في فنون العلوم وتسلط عليها بذهن يرد المجهول إلى المعلوم، وله في البلاد ذكر شهير، وصيت مستطير، وخطر خطير، يضرب في كل من بسهم مصيب ويحظي منه بأوفر نصيب، وما زال يوصل نفسه في المعارف حتى تأصل فهو الآن قطب مصر وعلمائها [٤].

وبعد ما أخذ العلوم الدينية في قوص انتقل إل القاهرة التي كانت نقطة انطلاقه الكمال الأدفوي في التدوين التاريخي وخاصة حينما التقى بشيخه أبي حيان الغرناطي الذي كان وجوده من أسباب الأحداث التي حدثت للأدفوي.

فلم يكتف الأدفوي برحلته العلمية إلى قوص بل سار إلى القاهرة التي تبوأت مكانة مرموقة بين مدن العالم الإسلامي في ذلك الوقت وغدت مركزاً والتقاء الرحالة

---

[١] الطالع السعيد، ص٤٤.

[٢] إبراهيم دسوقي محمود: الطرق التجارية القديمة في مصر وآثارها الحضرية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٢٦٣.

[٣] ابن دقيق العيد: هو الشيخ تقي الدين أبو الفتح محمد بن الشيخ مجد الدين علي بن وهب بن مطيع القشيري القوصي درّس الحديث والفقه ووصل إلى درجة الاجتهاد المطلق في الفقه (السيوطي: حسن المحاضرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨، مج٢، ص ١٤٥-١٤٧.

[٤] العبدري (محمد بن محمد العبدري الحيحي): رحلة العبدري، تحقيق إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق ٢٠٠٥م، ط٢، ص١٣٨-١٣٩. كما ذكر الرحالة النجيبي العديد من مؤلفات ابن دقيق العيد منها الإمام في معرفة أحاديث الأطعام وشرح كتاب أبي عمرو وعثمان بن عمر بن أبي بكر بن الحاجب المالكي وديوان خطب والأمالي التي أملاها بدار الحديث السابقية بقوص. التجيبي (لقاسم بن يوسف التجيبي السني ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م): مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٥م، ج ٣، ص٢٢٢.

والمؤرخين والعلماء والأدباء والشعراء من كل حدب وصوب، واجتمع بالعلماء وتأثر بهم. ولعل ارتحال الأدفوي من أدفو إلى قوص إلى القاهرة والمصادر المتنوعة من المعارف والأسفار والرحلات شكلت أيضاً فكره وثقافته حتى صار من أعظم مؤرخي الصعيد كلها.

ولعل ما يربطه بكتابة التاريخ الجادة هو الرحلة في طلب العلم فيتبقى على المؤرخ أن يرتحل من مكان إلى آخر ويدرس نواحي من تاريخ كل مدينة يؤرخ لها وهذا ما فعله الأدفوي في كتابه "الطالع السعيد" والذي اهتم بتحديد المواقع والأماكن التي لا يمكن الكتابة عنها دون البعد الجغرافي، فضلاً عن إثبات أسماء المواضع والأمكنة وما تحويه من نشاط اقتصادي، مما أعطى لنا صورة متكاملة عن مدن الصعيد الأعلى.

أهم مؤلفات الأدفوي وشيوخه الذي تأثر بهم :

من أهم مؤلفات الأدفوي "فرائد الفوائد ومقاصد القواعد" وهو كتاب يبحث في علم الفرائض. وهو العلم الذي يهتم بقواعد وجزئيات الشرع التي يتم بها توزيع الميراث على الورثة الذين يستحقونها [١] وذاع صيت الكمال الأدفوي من خلال هذا الكتاب ولما كان لمدن الصعيد الأعلى من علماء لهم باع في هذا العلم من أمثال جمال الدين عبد الرحيم بن الحسين بن علي الأسنوي [٢]. وهذا الكتاب لم يطبع، والمؤلف الثاني "البدر السافر وتحفة المسافر" وهذا الكتاب ترجم فيه لبعض شعراء القرن السابع الهجري/ الثالث عشر

---

[١] حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج٢، القاهرة، ١٩٤٣م، ص٢٤٤، محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٤٩م، ج١، ص ٣٦٢-٣٦٤.

[٢] البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل عن كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المتنبي، بيروت، د.ت، ص٣٧٩.

الميلادي [١]، وكان للمؤرخ الكمال الأدفوي خبرة بالموسيقى والنظم والنثر الحسن، كان عالماً فاضلاً متقللاً من الدنيا وكانت وفاته ٧٤٩هـ [٢].

ومن مؤلفات الأدفوي أيضاً "الإقناع في أحكام السماع" وهو كاب نفيس لم يصنف مثله، والكتاب يبحث في ضروب الفناء من حيث جوازه أو تحريمه وفيه فوائد موسيقية عن لات العزف والضرب [٣]. أما آخر مؤلفات الأدفوي "كتابه الطالع السعيد الجامع أساء نجباء الصعيد" فهو من أهم كتب التراجم لعلماء الصعيد من أعمال إقليم قوص ومدنه وأعماله. وهو سفر ضخم جمع فيه تراجم لأبناء الصعيد من العلماء ولم يترجم للأحياء منهم، لا غرض أو لأمر عرضي وجعل تراجمه على حروف المعجم وفقاً لترتيب أبجدي وإن كان قد أخل من حيث الترتيب، إلا أن الكتاب ضم من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء (٥٩٣ عالماً) منهم أربعة سيدات عالمات.

فهو لم ينسى دور المرأة في إقليم الصعيد، فكانت تاج النساء ابنة عيسى بن علي بن وهب من قوص سمعت الحديث من أبي عبد الله بن عبد المنعم بن الخيمي، بقراءة عمها الشيخ الإمام أبي الفتح محمد القشيري [٤]. وكذلك خديجة بنت علي بن وهب القشيري أيضاً سمعت الحديث عن طريق مقرأة من أخيها ولدت بقوص وتوفيت بالقاهرة (٧١٧هـ/ ١٣٤٧م) [٥] وكذلك رقية بنت محمد بن علي بن وهب (ت٧٤١هـ/ ١٣٤٧م) وسمعت الحديث من أبيها [٦] ومظفرية بنت عيسى بن علي بن وهب [١] وكلهن شاركن في رواج الحياة الدينية في صعيد مصر ويبدو أنهن من بيت واحد.

---

[١] منه نسخة في فيينا والجزء الأول من نسخة أخرى بالفاتيكان، والجزء الثاني من نسخة ثالثة بمكتبة فاتح باستانبول، هذا الكتاب لم يطبع. الأدفوي: الطالع السعيد، ص (ن).

[٢] الشوكاني (محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، القاهرة، ١٣٤٨هـ، ج١، ص ١٨٢-١٨٣.

[٣] كتاب الامتاع لأحكام السماع، شهد له التاج السبكي في كتابه "التوشيح" وقد لخصه الشيخ أبو حامد المقدسي، واقتصر على المقصود منه، ورتبه كأصله في مقدمة وبابين وسماه: تشنيف الأسماع. الأدفوي: الطالع السعيد، ص (ن).

[٤] الأدفوي: الطالع السعيد، ص١٧٥.

[٥] الأدفوي: الطالع السعيد، ص٢٤٠.

[٦] الأدفوي: الطالع السعيد، ص٢٤٦.

وللأدفوي مؤلفات أخرى منها المقامة "البائية" والتي أشار إليها في كتابه الطالع السعيد من خلال ترجمته للعالم أحمد بن محمد أبو العباس الملثم القوصي [٢] وكتاب "الموفى بمعرفة التصوف والصوفي" [٣] وكذلك كتاب أشعار الأدفوي وترى هذه الأشعار مبثوثة في كتابه الطالع السعيد [٤].

وقد ترجم الأدفوي في كتابه الطالع السعيد بين دفتيه لـ ٥٩٤ عالماً من علماء الصعيد من رجالها ونسائها، كما وصف إقليم الصعيد وبيان حدوده ومحاسنه وأقسامه ومدنه وما به من ربط وزوايا ودور العلم والعبادة وحمامات [٥].

أخرج الكمال الأدفوي كتابه الطالع السعيد بإشارة من شيخه أثير الدين أبو حيان محمد بن حيان (المعروف بأبا حيان الغرناطي الإمام، الأندلسي [٦] وصفه الرحالة ابن رشيد حينما التقى به في القاهرة بقوله "صاحبنا الأديب النحوي المتفنن المحدث" أخذ العديد من العلماء عنه القصائد الشعرية [٧] ووصفه الرحالة المغربي "النجيبي حينما التقى به في القاهرة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م). فقال "أخذ الفضلاء المعرفين

---

[١] الأدفوي: المصدر السابق، ص ٦٤٨، مجاهد محمد سعيد: الحياة العلمية في دولة المماليك البحرية (٦٨٤- ٧٨٣هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب- قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠١١، ص ٦٨.

[٢] الأدفوي: الطالع السعيد، ص١٣٣.

[٣] قرشي عباس دندراوي: تاريخ تراث الصعيد الأعلى، الجزء الأول، مكتبة الآداب، ١٩٩٧م، ص٢٢٢.

[٤] الأدفوي: الطالع السعيد، ص ١٥، ٣٣، ٣٦، ٤٥، ٦٥، ٨٤، ١٩٤، ٢٨٤، ٣٣٥، ٤٩٥، ٥٠٤.

[٥] عبد اللطيف حمزه: الأدب المصري من الدولة الأيوبية حتى الحملة الفرنسية، القاهرة، د.ت، ص٢٢٨.

[٦] ولد أبو حيان في شوال سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م بمطخشارش من غرناطة، أخذ بالأندلس عن جماعة من العلماء وسمع الحديث في جزيرة الأندلس وبلاد أفريقية وثغر الإسكندرية وديار مصر والحجاز وحصل على الاجازات من الشام والعراق، له مؤلفات عديدة في التفسير والقراءات والنحو ت ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م، الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): نكت الهيمان في نكت العميان، تحقيق أحمد ذكي بك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ط١، ص٢٩٣.

[٧] ابن رشيد (محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي ت ٧٢١هـ/ ١٣٢١م): ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إل الحرمين مكة وطيبة، الجزء الخامس، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ط١، ج٥، ص٣٧٣.

بعلم العربية والتحقيق لغوامضها، والتفنن فيها، مع المشاركة في فنون الأدب ويجيده مع براءة الخط وطيب النفس [١].

وذكر ابن بطوطة أبا حيان الغرناطي أثناء رحلته إلى مصر أنه ضمن علماء مصر وهو أعلمهم بالنحو [٢] كما وصفه البلوي بعدد من الصفات وكان عالماً بالقراءات السبع بقراءة الإمام أبي عمر الداني وبالإدغام الكبير لأبي عمرو بن العلاء وبقراءات يعقوب الحضرمي وأجازه العالم أبي حيان وكتب ذلك بخطه، كما أورد عليه العديد من القصائد الشعرية [٣].

وكان الدافع من وراء إشارة العالم أبا حيان الغرناطي لتلميذه الكمال الأدفوي بأن يبدأ في كتابة تاريخية عن الصعيد هو أن النهضة العلمية التي كانت تذخر بها مدن مصر وأعمالها متمثلة في مدارس قوص وأسوان وإسنا وغيرها من مدن الإقليم أنها نهضة لا تقل عن النهضة العلمية في القاهرة والعديد من العواصم المركزية الأخرى.

وقد صنف كتاب الطالع السعيد من بين كتب تراجم الأعلام وقد اختص ترجمة لأعلام الصعيد لذا يعتبر التدوين التاريخي في كثير من مظاهره فناً من فنون الأدب لذا ظهرت في العديد من الكتب التاريخية النزعات الأدبية بما فيها من زخارف بديعة خاصة بالسجع والجناس والطباق [٤].

عكف الكمال الأدفوي بدراسة العلوم الدينية على أيدي العديد من شيوخه مثل تاج الدين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الكندي الدشاوي وهو فقيه عالم فاضل

---

[١] التجيبي: مستفاد الرحلة، ص ١٤٠-١٤١.

[٢] ابن بطوطة: الرحلة، ص٦٤.

[٣] البلوي (خالد بن عيسى ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٥م): تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، مقدمة وتحقيق الحسن بن محمد السائح، مطبعة فضالة، المغرب، د.ت، ج١، ص ٢٢٧-٢٣٠، أماني بنت سعيد الحربي: مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، ٢٠١٥م، ص ٢٩١.

[٤] مجاهد محمد سعيد: الحياة العلمية في دولة المماليك البحرية، ص ١٢٣، ١٢٤.

مقري محدث، أديب وشاعر حدث بقوص والقاهرة والإسكندرية ودرس بالمدرسة العزية بظاهر قوص، وأفتى وحدث وأفاد وأجاد [١] كما سمع الحديث من شيخه العالم أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي الغنائي وكذلك العالم إسماعيل بن موسى السفطي القوصي [٢] أما شيخه العالم والفقيه والمحدث علي بن هبة الله ابن الشهاب الاسنائي، الذي اصطحبه مدة طويلة ودرس له بقوص سنين طويلة حيث كان تلميذاً له مع ابنه فكان شيخه لا يفصل ابنه عليه وكان به إحسان لطلبة العلم، التقديم لهم، ومن شواهد ملازمة الأدفوي لشيخه أن العالم علي بن هبة الله تولى الحكم بأدفو وكانت طريقته حسنة وسيرته مستحسنة [٣].

ومن شيوخه أيضاً محمد بن عثمان بن عبد الله سراج الدين الدندري، والعالم منتصر بن الحسن بن منتصر، الأدفوي المولد (ت ٦٤٩هـ) والدار خطيب أدفو سمع الحديث واشتغل بالفقه وعمر رباطاً بادفو، كان عالماً بالفقه والكلام ويحفظ التواريخ وله نظم وشعر وتراجم الناس وأنسابهم وتوفي بأدفو (٧٣٤هـ) [٤] وتتلمذ الكمال الدين الأدفوي على يد العالم يحي بن عبد الرحيم بن ذكير القرشي القوصي، كان معلماً للأدفوي ست سنين أو ما يقاربها وكان في آخر أيامه رياسة التدريس والفتوى بأعمال القوصية كلها وله مدرسة بقوص ت ٧١٨هـ [٥] كما تأثر بأستاذه العالم يوسف بن محمد بن أبي البركات السيوطي، قاضي أسوان في ذلك الوقت اشتغل بالفقه بأسيوط. تولى أمر قوص فتولى القضاء بأرمنت وأسنا وأضيفت إليه أدفو سنة ٧٠١هـ توفي سنة ٧٢٤هـ، ومن شيوخه أيضاً العالم يونس بن عبد المجيد بن علي بن داود الهُذليّ، الأرمنتي من الفقهاء والفضلاء، والأدباء والشعراء، والمحمودي السيرة، سمع الحديث واشتغل بالفقه والأصول والنحو ولد بأرمنت ٦٤٤هـ وتوفي

---

[١] الأدفوي: الطالع السعيد، ص ٤٨٨-٤٨٩.

[٢] الأدفوي: المصدر السابق، ص١١٠، ١٦٧.

[٣] الأدفوي: المصدر السابق، ص ٤٢٠-٤٢١.

[٤] الأدفوي: المصدر السابق، ص ٥٩٤، ٦٦٠، ٦٦١.

[٥] الأدفوي: المصدر السابق، ص ٧٠٩.

بقوص ٧٢٥هـ [١] كما تتلمذ الكمال الأدفوي على يد العديد من العلماء سواء وفدوا إلى الإقليم ومن خارجه أو من علماء الإقليم نفسه.

ولعله من المفيد أن نعرض للحالة السياسية والصراع المذهبي في أيام الأدفوي وأثره سلباً أو إيجاباً على فكره ومنهجه في كتابه التاريخ، والحقيقة أن فكرة التاريخ عند شعب من الشعوب أو أمة من الأمم أو جماعة إنسانية ما، ليست في حقيقة أمرها سوى شكل من أشكال فهم هذا الشعب لهويته الذاتية ومن خلال إدراك الهوية الإنسانية لذاتها الحضارية تعدد أبعاد فكرة التاريخ عندها [٢]. فقد شهدت مدن الصعيد الأعلى صراعاً بين المذهب الشيعي والسني، فكانت أغلب مدنها تدين بالمذهب الشيعي منذ العصر الفاطمي وذكر الأدفوي أن أغلب مدن الصعيد كان يسكنها العبيديين فغلب على أهلها التشيع كما في أسوان وأدفو وإسنا وأصفون [٣] على الرغم من محاربة الدولة الأيوبية والجهود التي يبذلها في محاربته لذا وصف الأدفوي بلده أصفون أنه وجد بها طائفة من الإسماعيلية والرافضة والإمامية من الدرزية والحاكمية [٤] وأدفو التي فشى فيها التشيع وأهلها طائفتان الإسماعيلية والإمامية" ثم ضعف حتى لا يكاد ينبذ به. إلا لأشخاص قليلة [٥].

فكان صعيد مصر في عصر الأدفوي يشهد نشاطاً دينياً ملحوظاً وخاصة بعد أن غدت مصر قاعدة الخلافة العباسية. ومقصد العلماء المسلمين من المشرق والمغرب، وكان التشيع يؤثر على صعيد مصر منذ أوائل عصر دولة المماليك، على

---

[١] الأدفوي: المصدر السابق، ص ٧٢٩-٧٣٣.

[٢] قاسم عبده قاسم: فكرة التاريخ عند المسلمين، قراءة في التراث التاريخي العربي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠١م، ص٧٢، حسن خضيري أحمد: دراسات وبحوث في التاريخ الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص١٠٧.

[٣] الأدفوي: الطالع السعيد، ص٣٤- ٣٨.

[٤] شيخ الربوة الدمشقي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م، ط٢، ص٢٣٣، سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة المصرية، ١٩٩٢م، ص٧٠.

[٥] الأدفوي: المصدر السابق، ص ٣٧.

الرغم من الجهود التي بذلها صلاح الدين وخلفاؤه لمناهضة المذهب الشيعي ونشر المذهب السني عقب سقوط الخلافة الفاطمية، لكن سلاطين المماليك اتبعوا سياسة حازمة للقضاء على لمذهب الشيعي ونشر المذهب السني بحيث لا ينتهي عصر سلاطين المماليك إلا وآثار التشيع قد صفت أو كادت تنتهي من البلاد [١] ومن أهم الأعمال التي قام بها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م وهو الزمن الذي عاش فيه الأدفوي من تحريم أي مذهب عدا المذاهب السنية الأربعة. بحيث لا تقبل شهادة أحد، ولا يرشح لوظيفة من وظائف القضاء أو الخطابة أو الإمارة أو التدريس إلا إذا كان من أتباع أحد هذه المذاهب السنية الأربعة [٢].

فذكر الأدفوي أن أسفون معروفة بالتشيع الشنيع لكن جف بها وقل وخرج منها أهل علم أدب وخرج منها وزراء [٣] وأما إسنا فكان بها التشيع فاشياً والرفض بها ماشياً فجف حتى خف، نتيجة لتصدي العديد من علماء الصعيد للتشيع ونشر المذهب السني مثل الشيخ هبة الله بن عبد الله بهاء الدين القفطي ذكره الأدفوي في طالعه بأنه فاتح إسنا فما زال يجتهد في إخماده وإقامة الأدلة على بطلانه وصنف في ذلك كتاباً سماه "النصائح المفترضة في فضائح الرفضة وهدى الله على يديه خلقاً كثيراً" [٤].

ومن أسباب محاربة المذهب الشيعي في مدن الصعيد وجود المؤسسات الدينية والثقافية فيها مثل المساجد والأربطة والزوايا والمدارس وأورد لنا الأدفوي وجود العديد منهم في مدن الصعيد، إضافة إلى أن المقريزي حصر لنا عدد المدارس خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين (١٤-١٥م) أنه يوجد عشرون مدرسة من جملة اثنين وسبعين مدرسة بمصر ويرجع ذلك إلى تركيز اهتمام الولاة والحكام بإنشاء المدارس لمحاربة التشيع الذي تفشى في العديد من مدن الإقليم وكان ملاذاً للهاربين الشيعة بعد زوال الدولة الفاطمية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فأنشئت

---

[١] سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، ص ٣١٩.

[٢] المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٣، ص٢٨٥، سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق، ص٣٢٠.

[٣] الأدفوي: الطالع السعيد، ص ٣٩.

[٤] الأدفوي: المصدر السابق، ص ٣٩، ٩٩٣.

بأسوان ثلاث مدارس (البنياسية – النجمية – السيفية) وبإسنا ثلاث مدارس (العزية – ابن السديد – الغربية) بالإضافة إلى مدرستين بقنا ومدرسة بكل من الأقصر، وأرمنت، وقولا، هوة قفط [١] فراجت مدن الصعيد الأعلى بالعديد من العلماء فقال الأدفوي في طالعه:

بلاد بها أهل المكارم والنهي وللعلم فيها طارف وتليدُ
صعيد علا فوق الأقاليم قدره به العيش حلو والمقام حميد
به من الآداب وعلم وسؤدد معيد ومن المكرمات مفيد
يضوع به المعروف حيث يضيعه زمان فيلقى الجود وهو جديد [٢]

وتعتبر دار الحديث الذي أنشئ (٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م) أهم المؤسسات الدينية بقوص إذا كان لها دور مهم في إعادة المذهب السني إلى وضعه الطبيعي بإقليم الصعيد ومحاربة التشيع كما كان للمدارس هذا الدور الذي قامت بتدريس مذاهب أهل السنة والفقهاء الأربعة وكذلك تدريس علوم الأوائل (العلوم الدنيوية) [٣] وقد تولى التدريس جملة من العلماء أحصاهم الأدفوي في طالعه والتي تخطت شهرتهم مدن الصعيد فكان علماء قوص (١٧٤) عالماً وفقيهاً من جملة (٥٩٢) عالماً بالصعيد الأعلى كله [٤].

فكان لطبيعة إقليم الصعيد الجغرافية أثرها في نزوح معتنقي المذهب الشيعي من القاهرة والدلتا إلى مدن الصعيد بعيداً عن سلطة الحكام خاصة بعد القضاء على

---

[١] المقريزي: الخطط، ج٢، ص٤٣٦.

[٢] الأدفوي: الطالع السعيد، ص٤٥، وحظيت قوص وحدها بأكثر من نصف مدارس الصعيد وربع مداس مصر أو أنشئ بها (١٦) مدرسة كما أشار الأدفوي، فهي لعبت دوراً ثقافياً يناهز دور القاهرة والإسكندرية كمراكز للإشعاع الحضري والثقافي، الطالع السعيد، ص٤٤.

[٣] إبراهيم دسوقي محمود: الطرق التجارية القديمة في مصر وآثارها الحضارية، دار حراء للنشر، المنيا، ٢٠٠٠م، ص ٢٦٤.

[٤] الأدفوي: الطالع السعيد، صفحات متفرقة.

الدولة الفاطمية ذات المذهب الشيعي وقيام الدولة الأيوبية التي أولت اهتماماً كبيراً في القضاء على التشيع في مدن الصعيد [١].

أورد الأدفوي في كتابه الطالع السعيد مقدمة جغرافية يصف فيه مدن الصعيد الأعلى ومحاسنها وخصائصها والتي تميزت بها كل مدينة عن المدن الأخرى، حقيقة أن الجغرافيا هي التجسيد الحقيقي لدى إدراك الأدفوي لبيئته التي عاش فيها، فقد ارتبطت كتابة التاريخ عنده بالجغرافيا، ولم يكتف بما قرأه أو شاهده وإنما أخذ يجمع المعلومات من أهلها وسافر وتجول في مدن الصعيد الأعلى ووصف فيها المدن والقرى والأعمال وصفاً جغرافياً دقيقاً من حيث علمائها وأجوائها وحاصلاتها وقبائلها وبطونها، الأمر الذي جعله مؤرخاً وجغرافياً في آن واحد. لذلك أكد الأدفوي في مقدمة الطالع أنه مبتكر لهذا العمل لإشاراته في العديد من مواضع مدن الصعيد وإماطة الثام عن أحداثها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

فنجد الأدفوي لم يقف عند وصف مدينة أدفو فحسب بل وصف الصعيد الأعلى كله حتى طول مسافته فأشار أن مسيرته اثني عشر يوماً بسير الجمال السير المعتاد كما وصف عرضه بثلاث ساعات وأكثر أو أقل حسب عمران المكان نفسه، وبدأ في وصف الصعيد بدءاً من أراضي البجاه إلا أنه ركزعلى قوص الذي أنشد فيها:

أنـــــزل بقـــــوص فإنمـــــا هـــي منـــزل الفطـــن الحكـــيم
وأشـــرب مياهـــا قـــد أتـــت مـــن طيـــب جنـــات النعـــيم [٢]

وتحدث الأدفوي أيضاً مع بني الكنز بأسوان ومآثر بعض أمرائهم المعاصرين له، وعن صدى هذه المآثر في أشعار عدد من الشعراء الذين مدحوا بني الكنز [٣].

---

[١] إبراهيم دسوقي محمود: المرجع السابق، ص٢٦٣-٢٦٤.

[٢] الأدفوي: الطالع السعيد، ص١٥.

[٣] عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، در المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٦م، الطبعة الأولى، ص٤٣.

وكما تحدث الأدفوي في طالعه عن الرخاء الاقتصادي لإقليم الصعيد وما ساد أسوان في عهد إمارة بني الكنز الأولى، شهدت أيضاً أسوان نهضة ثقافية في عهد تلك الإمارة وذلك باهتمامهم بالثقافة والتعليم، والثراء الذي كانوا يتمتعون به، فقد جعل بنو الكنز من أسوان قبلة للعلماء والشعراء وتشبهوا بالخلفاء في تشجيعهم لهم وأجزلوا لهم العطاء [١].

وأشار أيضاً الأدفوي في طالعه أن الغالب على إقليم أسوان في عهد بني الكنز العلم والفهم والدين والرئاسة وحب العمارة، والسماح والبهاء والزينة ولهذا خرج منها خلائق كثيرة من أهل العلم والرواية والأدب كما أورد الأدفوي العديد منهم[٢].

وأخيراً وكان لزاماً علينا أن نتناول المنهج الذي اتبعه الأدفوي في كتابه التاريخ، لذلك يجدر بنا أن نبحث عن مصادر مادته التاريخية بإيجاز، حتى نقف على منهجه في عرض هذه المادة في ضوء كتابه "الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد" باعتباره عملاً أساسياً وجوهرياً من أعماله المتعددة.

اعتمد الهمذاني في استقاء مادته التاريخية على مصادر عديدة منها حفظه للقرآن الكريم ودراسته للحديث الشريف حتى أن هذا الكتاب يعد سجلاً حافلاً بالعلماء في مدن الصعيد الأعلى وللتاريخ الثقافي والفكري وتراجمه يضفي عليه طابع الأصالة. هذا مرجعه إلى خلفية دينية لأن كتابه التاريخ عند المسلمين الأوائل كانت ذات أصل ديني بتأثير ما ورد في القرآن الكريم من مادة تاريخية تتناول قصص الأمم الماضية وأخبار الأنبياء وغير ذلك [٣].

كما كان الأدفوي يعتمد في مصادره دائماً على السفر وأئمة اللغة وكتب المؤرخين السابقين والروايات الشفوية التي سمعها ثم ما رآه أو سمعه بنفسه من الأحداث التي دونها سواء الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية وعلى هذا يكون اعتمد الأدفوي على النقل والدراسة والرواية والمشاهدة والترحال من بلد لآخر كمصادر

---

[١] الأدفوي: الطالع السعيد، ص٢٩.

[٢] الأدفوي: المصدر السابق، ص٢٩.

[٣] حسن خضيري: دراسات وبحوث في التاريخ الإسلامي، ص١١٢.

لمعلوماته التاريخية واستشهاده بالشعر حتى قال عنه الأسنوي في الطبقات "كان مشاركاً في علوم متعددة، أديباً شاعراً، ذكياً كريماً، طارحاً للتكلف ذا مروءة"[١].

وكان الأدفوي يشير إلى مصادر مادته حينما يذكر العالم الذي ترجم لـه كـاملاً بنسبه وكنيته وإن دلّ ذلك يدل على دراسة لكتيب الأنساب، ثم يستطرد تعليمه ودراسته وشيوخه ومؤلفاته وتصنيفاته ويشير جنباً إلى من سمع منه أو تحدث معه أو قرأ عنه أو حكى له وصفاته وسنه ومكان وفاته، ويذكر لنا الأحداث التي شاهدها بنفسه، فنجده ينقل بعض المعلومات ذات الصبغة الاجتماعية عندما يشير عن مدينة أدفو. "ومن محاسنها قلة البرغوث في شتائها، وقلة الهوام المؤذية في الصيف، ولا يكاد يوجد بها أجزم ولا أبرص إلا نادراً في حكم العدم، ولا من به شئ من الأمراض إلا تعاف، ولا مجسماً ولا معتزلياً ولا فيلسوفا، الآن، ولا مجوسياً ولا وثنياً، ثم استطرد أنه لا يوجد بالصعيد كله من اليهود إلا نحو عشرة أنفس أو أقل"[٢].

استشهاد الأدفوي بالشعر في توثيق مادته التاريخية حيث تضمنت العديد من مؤلفاته نماذج من الشعر وخاصة في "الطالع السعيد" وهو بهذا لا يكتفي أن يكون مؤرخاً ومترجماً بل يضيف إلى معرفته بالتاريخ والتراجم معرفة وثيقة بالشعر خاصة وأنه عدد لمحاسن إقليمه بالشعر.

هذا فضلاً عن عنايته الفائقة بالمباحث اللغوية مما يدل على تبحره فيها.

وحسبنا نقول أن كتاب "الطالع السعيد" مصدراً تاريخياً لأعظم المؤرخين الذين أتوا بعد عصره مثل المؤرخ الكبير الحافظ بن حجر العسقلاني في كتابه "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة"ولصفدي "الوافي بالوفيات" وابن كثير في البداية والنهاية، والتاج للسبكي "الطبقات الكبري"، والمقريزي "السلوك" و"الخطط" وابن تغرى بردي في "النجوم الزاهر"، وابن دقماق في "الانتصار لواسطة عقد الأمصار والسيوطي "حسن المحاضرة".

---

[١] الأدفوي: الطالع السعيد، المقدمة (ش).

[٢] الأدفوي: الطالع السعيد، ص٤٤.

كما يعد كتاب الطالع السعيد عملاً فريداً من نوعه ترجم لعلماء الفضلاء من أبنـــاء الصعيد وأرضه التي هي ما قال الأدفوي "أول أرض مسَّ جلدي ترابهـــا ولـــذا لطرفـــي كامها وظرا بها وحلا لقلبي أرجاؤها ورحابُها والتي أمطر الرزق على سحابها ووضـــعت عني بها التمائم وأقمت بها إلى أن طار من رأس عرابها وأنشد فيها قائلاً:

أحـــن إلـــى أرض الصـــعيد وأهلهـــا ويـــزداد شـــوقي حـــين تبـــدو قبابهـــا
وتذكرها فـــي ظلمـــة الليـــل مهجتـــي فتجـــري دمـــوعي إذ يزيـــد التهابهـــا
ومـــا صـــعبت يومـــاً علـــى ملمـــه وشـــاهدتها ألا وهانـــت صـــعابها
بـــلاد بهـــا كـــان الشـــباب مســـاعدي علـــى نيـــل آمـــال عزيـــز طلابهـــا
وقضيت صفو العـــيش فـــي عرصـــاته لـــذلك يحلـــو للفـــؤاد رحابهـــا
مواطن أهلي ثـــم صـــحبتي وجيرتـــي وأول أرض مـــن جلـــدي ترابهـــا

فأراد الأدفوي كما أشار أن يحيِّ ما مات من علم علمائها وينشر في طالعه ما انطوى من فضل فضلائها ويظهر ما خفي من نثر بلغائها ودرّس من نظم شـــعرائها ويذكر ما نسي من مكارم كرمائها وكرامة صلحائها، فالإنسان يكرم بكرامة أهله، كما يعظم بنبله وفضله [١].

عاش الأدفوي حياته عالماً ومؤرخاً في القاهرة ونـــذر نفســـه للعلـــم وســـكن بالمدرسة الصالحية [٢] يتردد على شيوخه يأخذ منهم مناهل المعرفـــة كـــان عالمـــاً فاضلاً متقللاً من الدنيا كما ذكره العديد من المؤرخين وتوفي بعد عودته من الحج عام ٧٤٨هـــ. وأكد العديد من المؤرخين أن وفاته كانت قبل الطاعون الكبير الذي حـــدث ٧٤٩هـــ [٣]

---

[١] الأدفوي: الطالع السعيد، ص ٤، ٥.

[٢] هذه المدرسة مختطة بين القصرين من القاهرة من جملة القصر الكبير الشـــرقي، فبناهـــا الملـــك الصالح نجم الدين أيوب ورتب فيها درساً على المذاهب لفقهية الأربعة في مكان واحد، المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٣، ص ٤٦٥.

[٣] الأدفوي: الطالع السعيد، ص المقدمة ش.

خاتمة

استمد صعيد مصر أهمية خاصة من موقعه الاستراتيجي والاقتصادي حيث كان لمدنه بين ضفتي نهر النيل تاريخ عريق منذ القدم جعلته مركز التكوين الفكري إبان الفتح العربي الإسلامي لمصر ونزوح بعض القبائل العربية له. كما كانت الأحداث السياسية الخارجية كالحملات الصليبية وقطع طريق أيلة لما له من أهمية اقتصادية كبيرة فقدها الصعيد منذ عام ٧٦٠هـ.

فزخرت مدن الصعيد الأعلى بدور تحفيظ القرآن والربط والزوايا إضافة إلى المساجد وليس من الغريب أن يكون عدد المدارس في صعيد مصر الأعلى زمن الأدفوي ما يزيد على (٢٠) مدرسة من جملة (٧٢) مدرسة أي ما يعادل نسبة (٤٢,٥%) من جملة مدارس مصر كما أن الأدفوي أحصى في الطالع السعيد، (١٧٤) عالماً وفقيهاً في مدينة قوص من جملة (٥٩٤) عالماً بالصعيد الأعلى ترجم لهم أي بنسبة حوالي ٢٣,٥% من جملة علماء الإقليم وهذا يتناسب مع حجم المدارس المنتشرة بمدينة قوص كما أوردها الإدفوي، علماً بأن العدد الذي ذكره الأدفوي ليس دقيقاً لأن هناك مدرستان بناها أبناء الصعيد من العلماء وأصحاب الجاه لم يذكرها في طالعه.

ليس غريباً أن نرى مدن الصعيد الأعلى وقد ترجم لهم الأدفوي في طالعه العديد من الوزراء ومنهم من تولى الحكم على مدن الإقليم ومنهم من تولى ديوان الإنشاء ومنهم من تولى القضاء، ذكر أن بأدفو عدد كبير من أهل الرياسة والمكارم مثل بنو نوفل وبإسنا بنو السديد بيت رياسة ووجاهة وتولى المناصب الدينية وبنو النضر وفي أصفون وقمولا والأقصر والبلينا وقنا وأرمنت وقفط خرج منها علماء ورؤساء ووزراء وأدباء وتجار، وقنا خرج منها علماء ورؤساء وأهل مكارم وأرباب مقامات وأسوان بها خلائق كثير من لا يحصون من أهل العلم والرواية والأدب.

لذا أدرك الأدفوي أهمية دراسة علماء وفضلاء ونجباء الصعيد ومعرفة تأثيرهم على مجرى الأحداث ومسار التاريخ أفرد في مقدمته لدراسة جغرافية لمدن إقليم الصعيد الأعلى مما جعله في مصاف المؤرخين الجغرافيين الذين أتقنوا هذا العلم.

إضافة إلى أن كتاب الطالع السعيد يكشف عن وعي تاريخي وثقافة دينية واسعة من خلال تتبعه لجغرافية المدن وعلاقتها بالعلماء في البيئة المحيطة به من مدن الصعيد الأعلى فهو يربط بين العوامل الاقتصادية للمدن وأهم سماتها وأحوالها الاجتماعية وكذلك الحياة الفكرية والثقافية لهذه المدن. فاعتبر كتاب الطالع السعيد هو العمل الفكري والثقافي الوحيد التي ترجم لعلماء صعيد مصر الأعلى وكان بمثابة أول محاولة جادة في تناول تراث الصعيد الأعلى منذ الفتح العربي الإسلامي حتى القرن الثامن الهجري.

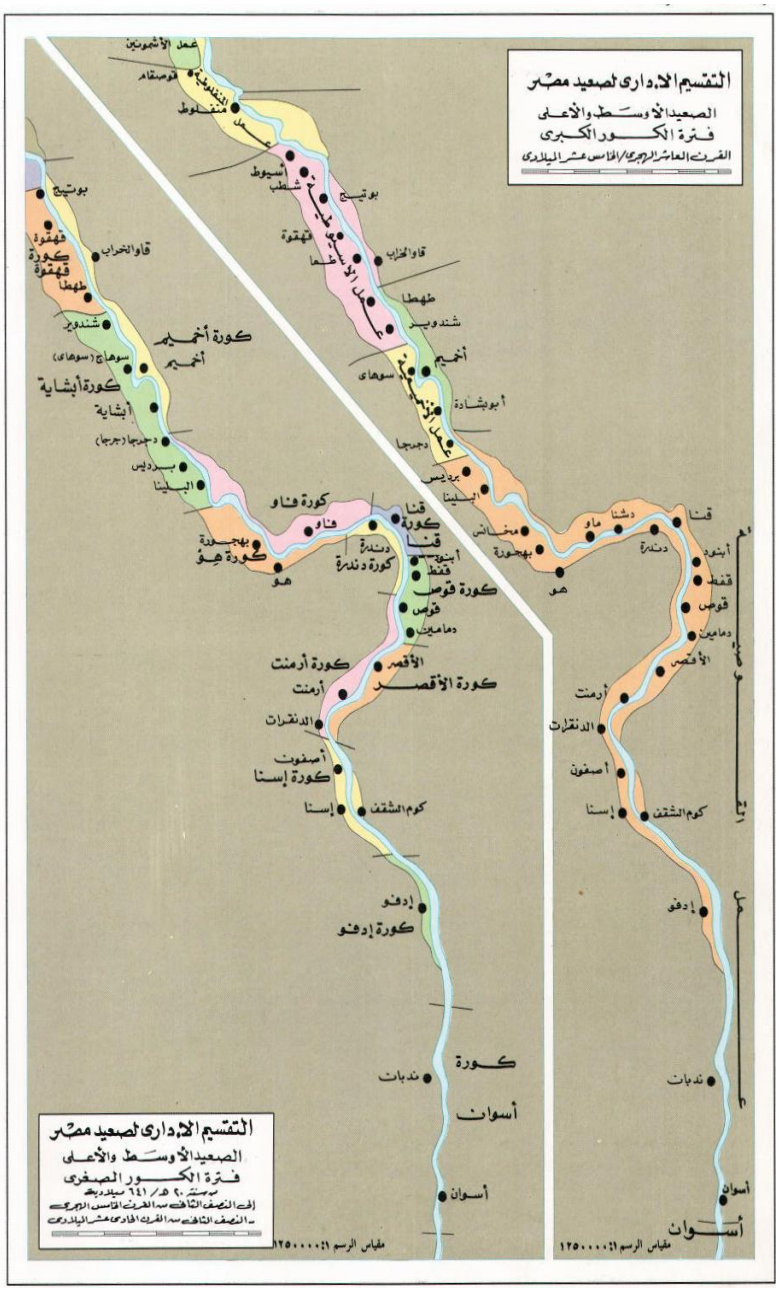

خريطة رقم (١) التقسيم الإداري لصعيد مصر

نقلاً عن حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ١٩٨٧م، ص٣١٨

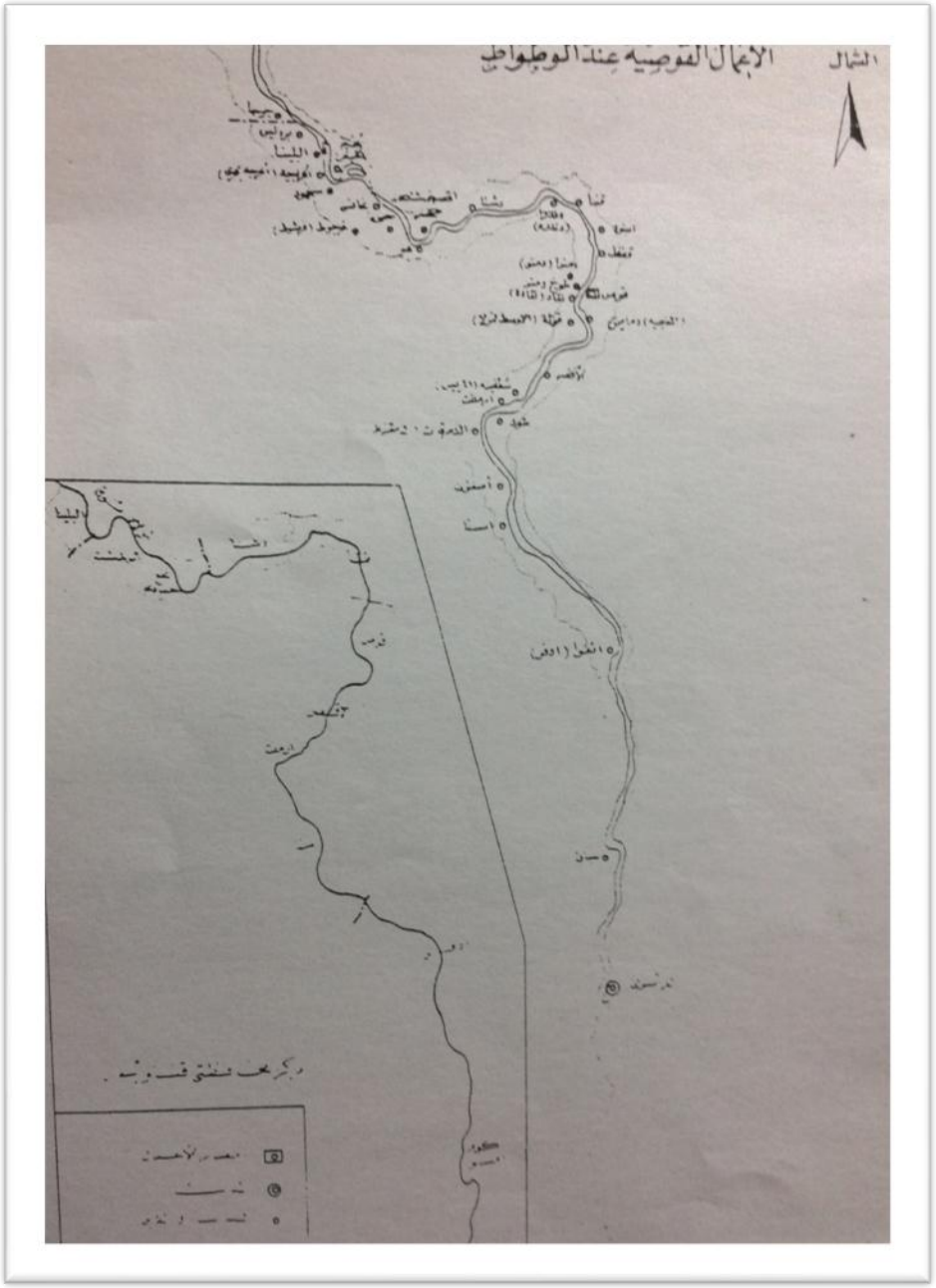

خريطة رقم (٢)

نقلاً عن عبد المنعم الشامي: صفحات من جغرافية مصر من مباهج الفكر ومناهج العبر للوطواط

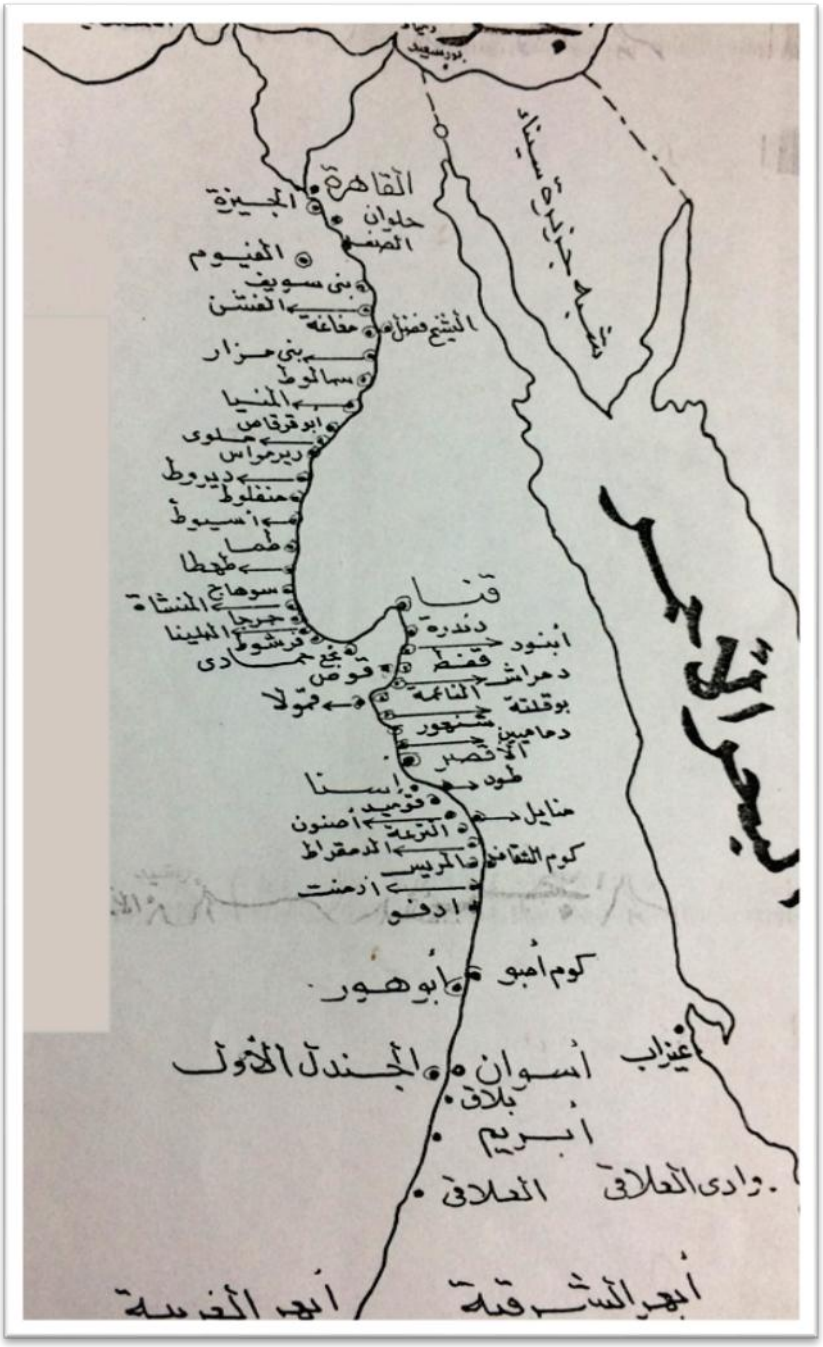

خريطة رقم (٣)

توضح موقع مدينة أدفو إحدى مدن الصعيد الأعلى

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

١. الأدفوي (كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي ت ٧٤٨هـ): الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م، ط٢.

٢. استرابون: استرابون في مصر، نقله من اليونانية دكتور وهيب كامل، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٣م.

٣. الإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي ت ٣٤٦هـ): مسالك الممالك، طبعة ليدن، بيريل ١٩٣٧م.

٤. ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت ٧٧٩هـ): الرحلة المسماه تحفة النظار في غرائب الأمصار، دار الكتب العلمية، شرحه وكتب حواشيه طلال حرب، بيروت، لبنان، د.ت.

٥. البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ): مراصد الإطلاع، تحقيق عليمحمد البجاوي، دمشق ١٩٥٤، الطبعة الأولى.

٦. ــــــــــــــــ : إيضاح المكنون في الذيل عن أسامي الكتب والفنون، مكتبة المتنبي، بيروت، د.ت.

٧. البلوي (خالد بن عيسى ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٥م): تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، مقدمة وتحقيق الحسن بن محمد السائح، مطبعة فضالة، المغرب، د.ت.

٨. التجيبي (لقاسم بن يوسف التجيبي السبتي ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م): مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ١٩٧٥م.

٩. التونسي (محمد بن عمر): تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق مصطفى سعد وآخرون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٠. ابن جبير (أبو الحسن بن أحمد ت ٦١٤هـ): رحلة ابن جبير، القاهرة، د.ت.

١١.جروهمان: أوراق البردي العربية، الجزء الخامس، ترجمة د. عبد الحميد حسن، ومراجعه د. محمد مهدي علام، القاهرة، ١٩٦٨م.
١٢.ابن الجيعان (شرف الدين يحي بن المقرن ت٨٨٥هـ): التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٤م.
١٣.حاجي خليفة (الأديب مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج١، القاهرة، ١٩٤١/ ١٣٦٢هـ، ج٢، القاهرة، ١٩٤٣م.
١٤.ابن حوقل (أبو القاسم أحمد النعيمي توفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري): صورة الأرض، بيروت، ١٩٧٩م.
١٥.ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن جابر بن خلدون ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م): مقدمة ابن خلدون، تعليق أبو مازن المصري، وكمال سعيد فهمي، القاهرة، د.ت.
١٦.الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف): مفاتيح العلوم، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت، الطبعة الثالثة.
١٧.ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر ت ٨٠٩هـ): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت د.ت.
١٨.ابن رشيد (محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي ت ٧٢١هـ/ ١٣٢١م): ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، الجزء الخامس، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ط١.
١٩.السبكي (تاج الدين عبد الوهاب السبكي ت ٧٧١هـ): معيد النعم ومبيد النقم الإصلاح السياسي والإداري في الدولة العربية الإسلامية، دار الحداثة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م.

٢٠.السخاوي (محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ت ٩٠٢هـ): الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، طبعة حسام القدسي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

٢١.السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٨٤٩هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٢.ـــــــــــــــ : الشماريخ في علم التاريخ، تحقيق عبد الرحمن حسن محمود، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٠م

٢٣.الشوكاني (محمد بن علي الشوكاني ت ١٢٥٠هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع، ج١، القاهرة، ١٣٤٨هـ.

٢٤.شيخ الربوة (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الصدفي الدمشقي ت ٧٢٧هـ): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، نشر Merhen، ليبزج، ١٩٢٣م.

٢٥.الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): نكت الهيمان في نكت العميان، تحقيق أحمد ذكي بك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٧م، ط١.

٢٦.العبدري (محمد بن محمد العبدري الحيحي): رحلة العبدري، تحقيق إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق ٢٠٠٥م.

٢٧.ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م): شذرات الذهب في أخبار من دهب، طبعة بيروت، د.ت.

٢٨.العمري (شهاب الدين أحمد بن يحى بن فضل الله العمري ٧٠١هـ/ ٧٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د.ت.

٢٩.أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر ت ٧٣٢هـ): تقويم البلدان، باريس، ١٩٤٠م.

٣٠.ـــــــــــــــــ : كتاب البلدان، القاهرة، ١٩٧٥م.
٣١.ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني ت أواخر القرن الثاثل الهجري): كتاب البلدان، تحقيق يوسف الهادي، عالم الكتب، القاهرة، د.ت.
٣٢.قدامة بن جعفر (أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي ت ٣٢٩هـ): الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق الدكتور محمد حسين الزبيدي، وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة كتب التراث (١١٠)، دار الرشيد للنشر، العراق ١٩٨١م.
٣٣.القزويني (زكريا بن محمد بن محمد): آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، د.ت.
٣٤.القلقشندي (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله ت ٨٢١هـ/ ١٤٨١م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.
٣٥.ـــــــــــــــــ : نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، القاهرة، ١٩١٩م.
٣٦.المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، القاهرة، ١٩٨١م.
٣٧.المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم، ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م.
٣٨.ـــــــــــــــــ : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق د. عبد الحميد عابدين، الإسكندرية، ١٩٨٩م.
٣٩.ابن مماتي (القاضي الوزير شرف الدين أبو المكارم أسعد ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م): قوانين الدواوين، مكتبة د. عزيز سوريال عطية، القاهرة، ١٩٢٣م.
٤٠.ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان، دار إحياء التراث الإسلامي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ط١.

ثانياً: المراجع:

١. إبراهيم دسوقي محمود: الطرق التجارية القديمة في مصر وآثارها الحضارية، دار حراء للنشر، المنيا، ٢٠٠٠م.

٢. أحمد السكندري وآخرون: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، القاهرة، د.ت.

٣. إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، القاهرة، ١٣١٤هـ.

٤. بوركهارت: رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان، ترجمة فؤاد أندراوس، مطبعة المعرفة، القاهرة، ١٩٥٩.

٥. جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥م.

٦. جمال الديناصوري: دراسات في جغرافية مصر، القاهرة، ١٩٥٧م.

٧. حسن خضيري أحمد: دراسات وبحوث في التاريخ الإسلامي، القاهرة، ٢٠٠٨م.

٨. حسنين ربيع: النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين، القاهرة، ١٩٦٤م.

٩. سعاد ماهر: محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٦م.

١٠. سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١م.

١١. ــــــــــــــ : المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠١.

١٢. سليم حسن: موسوعة مصر القديمة، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٣. سمير محمد خواسك: في بلاد العبابدة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٤. السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، مؤسسة شباب الجامعة، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٥. سيدة إسماعيل الكاشف: مصر في فجر الإسلام، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٦.سيدة إسماعيل كاشف: أحمد بن طولون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٠م.

١٧.ـــــــــــــــ : مصر في عصر الإخشيديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٢م.

١٨.ـــــــــــــــ : مصر في عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٩.صلاح سليم طايع: مدينة قفط منذ الفتح العربي الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري (دراسة سياسية حضارية)، دار الوفاء، الإسكندرية.

٢٠.عبد العال عبد المنعم الشامي: الصحارى المصرية في العصر الوسيط، القاهرة، ١٩٨٧م.

٢١.عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، در المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٦م، الطبعة الأولى.

٢٢.عطية مشرفة: نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، القاهرة، ١٩٤٨م.

٢٣.علي مبارك: الخطط الجديدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.

٢٤.عمر رضا كحالة: معجم القبائل العربية، بيروت، ١٩٩١.

٢٥.الفيروز أبادي: القاموس المحيط، طبعة دار الجيل، بيروت، الجزء الثاني، د.ت.

٢٦.قاسم عبده قاسم: فكرة التاريخ عند المسلمين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٢٧.قرشي عباس دندراوي: تاريخ تراث الصعيد الأعلى، الجزء الأول، مكتبة الآداب، ١٩٩٧م

٢٨.ماهر أحمد مصطفى: صعيد مصر في عهد المماليك الجراكسة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢٩.محمد بن صامل السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدرسه، الطبعة الأولى، دار الوفاء، ١٩٨٨م.

٣٠.محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٣م.

٣١.محمد سميح عافية: التعدين في مصر قديماً وحديثاً، القاهرة ١٩٨٥م.

٣٢.محمد عبد الغني الأشقر: نائب السلطنة المملوكية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

٣٣.محمد عوض محمد: نهر النيل، القاهرة، د.ت.

٣٤.محمود الحويري: أسوان في العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ١٩٩٦م.

٣٥.محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٤٩م.

٣٦.محمود عرفة محمود: البحث التاريخي دراسة في المناهج والأصول وتحقيق النصوص، دار الثقافة العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٣٧.نعوم شقير: تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته، القاهرة، ١٩٠٤م.

٣٨.نعيم ذكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٣م.

البحوث والدوريات والرسائل العلمية:

١. أحمد حامد أحمد: مدينة إسنا منذ الفتح الفاطمي لمصر حتى نهاية العصر المملوكي الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي، ٢٠٠٤م.

٢. أحمد دراج: عيذاب، مقال بمجلة نهضة أفريقيا، العدد السادس، أبريل ١٩٥٨م.

٣. أماني بنت سعيد الحربي: مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، ٢٠١٥م.

٤. أمين محمود عبد الله: تطور الوحدات الإدارية في مصر العليا، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٦٥م.

٥. سعيد عثمان: صعيد مصر في عصر المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج، ١٩٩٧م.

٦. عبد الحميد حسين محمود حمودة: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الصعيد الأعلى في العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الزقازيق، ١٩٨٨م.

٧. مجاهد محمد سعيد: الحياة العلمية في دولة المماليك البحرية (٦٨٤- ٧٨٣هـ/ ١٢٥٠-١٣٨٢م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب- قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠١١م.

٨. محمد رياض: العبابدة دراسة في الاقتصاد الصحراوي، أعمال ندوة ألقيت بالجمعية الجغرافية في ١٩٦١/٤/٢٦م.

٩. مصطفى سعد: البجه والعرب في العصور الوسطى، مقال بمجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج٢١، ج٢، ديسمبر ١٩٥٩م.

١٠. ممدوح عبد الرحمن: الحياة الفكرية لمدينة أدفو في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، بحث منشور في كلية الآداب بقنا، ٢٠١١م.

المخطوطات:

١. الإدفوي (كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوي ت ٧٤٨هـ): الإمتاع بأحكام السماع، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٣٦٨ تصوف، ميكروفيلم رقم ١٢٣٢٥.

٢. البكري: الكواكب السائرة، مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ١٠٩١، تاريخ ورقة ٩.

المراجع الأجنبية:

1. Ashtor (A): A social and educational History of the narliest times to 1821, press, 1955.
2. Garcim J.C.: Uncenter muslman de la houte Egypte medieval Qos, Le Caire, 1976,
3. Goiten (S.D.): A Mediterranean society, vol.1, Los Anglos, 1967
4. Greswel: The muslim architecture f Egypt, Vol. III.
5. Hassan Y. F.: The arab and the Sudan from the seventh to the early sixteenth century, No date of printing
6. Klumzinger (C.B): Upper Egypt its people and its products. London, 1978.
7. Lane Pool: History of Egyptian in the middle age, London, 1901.
8. Wiet & Mospero: Noterauxpur Serivir a la Geograghie de le Egypt.